٥٥٣

553

دار الـ النحاس
Nahas
HARLEQUIN

www.elromancia.com

مـــرمـــوريـــة

منزل الاحلام

لي ميشيل

منزل الاحلام

لي ميشيل

(كان صراعاً بين ارادتين... فمن كان الرابح؟)

كان رجلاً غريباً خلاباً، بالغ الوسامة والحنكة، ولكن سايمون نيكولز كان ايضاً دون قلب، كان مصمماً على المطالبة بإرثه وسحق خطط جايمي للمحافظة على المنزل الفخم الذي تهتم باستمرار وجوده إذ يحمل لها الذكريات، فهو بحاجة للحب، مثل جايمي تماماً، وهي متلهفة إلى رؤيته مرة أخرى يعج بالضحكات، بالأطفال والاسرة. ان عليها ان تكافح في سبيل تحقيق احلامها، فهل بإمكانها ان تكافح أيضاً اعجابها رغماً عنها بسايمون؟

سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١,٥ دينار - المغرب: ٨درهم مغربي. - سلطنة عمان ١ ريال. - تونس: ٢ دينار

لي ميشيل

لي ميشيل أصبحت كاتبة منذ كبرت إلى حد تمكنت معه من ان تستعمل القلم، ولكن نشر رواية عاطفية كان طموحاً أبقته سراً عن كل انسان ما عدا زوجها... أرسلا معاً بالبريد المخطوطة الأولى يوم الجمعة في الثالث عشر من الشهر والذي اصبح كما تقول يوم السعد لديها منذ ذلك الحين، لقد وجدت الكتابة أشبه بدخول عالم آخر ينتظرها على الدوام، فتخرج من العالم الحقيقي اليه حيث يعيش اشخاص رواياتها، والذين يتصرفون احياناً بشكل غير متوقع ما يجعل من الذهاب إلى العمل كل يوم مغامرة جديدة.

٥٥٣

khouloub Abir 553

منزل الأحلام

لـي ميشيل

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

زمجرت رياح آذار (مارس) فوق المقبرة، متخللة معطف جايمي الصوفي الأسود عابثة بخصلات شعرها الأشقر البارزة من تحت قبعتها، عقدت ذراعيها فوق صدرها وحاولت ان تركز اهتمامها في ما يقوله الرجل دون ان تستطيع ان تسمع كلامه جيداً.

ولكنها على كل حال، لم تكن تريد ان تستمع، فقد كان يكفيها متاعب مواجهة كون غريتا، غريتا التي لم يكن ثمة نهاية للمحبة والدفء والمرح في مشاعرها، غريتا هذه قد رحلت، ومن المحتمل ان يزيد كلامه من حزنها بدلاً من ان يغزيها، ذلك ان جايمي كانت تفضل دوماً الإنفراد بأحزانها.

عضت شفتها تكبت بذلك شهقة، ثم نظرت حولها إلى الجموع، كان المحافظ قد حضر وكذلك اساتذة المدارس والجيران الأقربون. كانت غريتا شاويك تعرف كل شخص تقريباً في مدينة سمرسيت، وبالرغم من البرد القارس فقد اجتمع عدد كبير من الأصدقاء والجيران هنا هذا النهار في جنازتها، اصدقاء كثيرو العدد، ولكن قريب واحد فقط.

هذا الصباح، استقرت عينا جايمي على ابن اخت غريتا، متأملة...

لم تكن قد رأته قط قبل اليوم سوى في الصور الفوتوغرافية التي تحتفظ بها غريتا على الدوام، ولم يكن من الصعب على جايمي ان تميزه بين جموع الحاضرين، فقد كان وحيداً حتى وسط كل تلك الجموع، ذلك ان اصدقاء غريتا

بقوا بعيدين عنه، ولم يكن هذا غريباً مادام اكثرهم لا يعرفونه، فقد كان من الصعب ان يستطيع واحد من الحضور ان يقول انه سبق له وتعرف إلى سايمون نيكولز.

كان يقف حاني الرأس قليلاً ودون قبعة، وقد شبك يديه خلف ظهره، وكان يرتدي معطفاً أسود. وكانت الريح تعبث بشعره القاتم الجعد.

تساءلت جايمي عما إذا كان حقاً كما يبدو عليه من الاعتداد بالنفس، ان عليها ان تسأل غريتا... ولكنها سرعان ما تملكتها صدمة وهي تتذكر انها لن تستطيع بعد الآن قط ان تسأل غريتا عن أي شيء، ولم تعد تستطيع حبس دموعها، انتهت مراسم الجنازة، ثم التفت رجل الدين إلى سايمون يقدم اليه واجب التعزية، بينما اخذ الجموع يتمتمون وهم يتوجهون إلى صف السيارات التي تنتظرهم.

أمسكت يد بذراع جايمي، وصوت هولي ديرموت يقول: «هل تحدثت إليه؟»

هزت جايمي رأسها نفياً وهي تخرج منديلاً لتمسح به دموعها: «انه لم يحضر إلا قبل ساعة من ابتداء المراسم.»

«ومتى ستسألينه؟»

«هولي، لا يمكنني ان اتقدم من رجل في المقبرة واقول انني آسفة لوفاة عمتك، وبالمناسبة هل استطيع استعارة بيتها لمدة شهرين وأفتحه للسائحين؟» كان صوت جايمي يرتجف وهي تقول ذلك.

«لا تدعي الأمر يبدو صعباً، يا جايمي، يجب ان تغتنمي هذه الفرصة. فقد اخبرني المحامي هربرت اندرسون ان سايمون سيرحل هذا النهار.»

«ومادمت متلهفة إلى هذا الحد، يا هولي، فلماذا لا تتحدثين انت اليه؟ فأنا لست رئيسة شركة الخدمات المتحدة، بل انت.» ولكن الاحتجاج لم يكن منطقياً، وكانت هي تعرف ذلك. فالتكلم مع سايمون نيكولز عن منزل غريتا كان على جايمي ان تقوم به، وإذا كان هو سيرحل عن سمرسيت حقاً قبل ان ينتهي النهار، ولا بد ان هربرت اندرسون يعرف ذلك، حيث انه محامي غريتا، فهولي إذن على صواب. ويجب ان لا تضيع الوقت.

ولكن هذا لا يعني ان جايمي دهشت حقاً لسماعها ان سايمون ليس في نيته البقاء طويلاً، فأثناء حياة غريتا لم يكن يجد وقتاً للقدوم لرؤيتها، فلماذا يزعج نفسه بالبقاء هنا بعد انتهاء الجنازة؟

وقفت جايمي باعتداد، ونظرت إلى الخيمة، ولكن سايمون نيكولز كان قد خرج.

رأته مازال على بعد عشرين متراً، وكان متجهاً إلى حيث السيارات، فاندفعت ناحيته، صائحة: «يا سيد نيكولز.» وداست قدمها بقعة متجلدة فانزلقت وكادت تقع عليه، وكان هو قد مد يده ليمسكها، ولكنها كانت قد تمكنت من استعادة توازنها قبل ان تميل عليه، ورفع هو حاجبيه قليلاً يسألها: «نعم؟»

لم تكن جايمي قد لاحظت من قبل مبلغ طول قامته، ونظرت إلى عينيه، كانتا خضراوين كالزمرد، وكانت اهدابه اكثف وادكن لوناً من شعره، كما كان ثمة غمازة في ذقنه.

«كنت تقولين يا آنسة...»

فقالت له: «اسمي جايمي لوغان، انني آسفة جداً لموت غريتا.»

«اشكرك، ومن بالغ اللطف منك ان تأتي إلى جنازتها.»

«لقد كانت صديقتي.» وغصت بالكلمات. (صديقة) هي كلمة بسيطة، ولكنها كانت تعني الكثير وكان عليها ان تغالب دموعها مرة أخرى. «يا سيد نيكولز، انني اكره إزعاجك في وقت كهذا.» مال برأسه بأدب، فاندفعت تقول: «ولكن ما دمت لا اعرف إلى متى انت باقٍ في المدينة... فقط، فأنا بحاجة إلى التحدث معك عن عمل لم ينته بعد.»

«هذا ليس بالمكان المناسب تماماً للحديث يا آنسة لوغان، هذا إلى ان ليس لديّ وقت لذلك.»

أرادت ان تسأله لماذا أزعج نفسه بالقدوم إذن مادام مشغولاً إلى هذا الحد. ولكنها فضلت الصمت. فهي بحاجة إلى خدمة منه، وهي لن تحصل على ذلك بمهاجمته فقالت: «انه أمر هام، يا سيد نيكولز.»

«عليك إذن ان تتحدثي في الأمر مع السيد هربرت اندرسون، فهو الوكيل القانوني للأملاك.»

«لقد فعلت ذلك، ولكنه يقول ان عليّ ان اتحدث اليك انت عن ذلك.»

فقال وكأنه يتحدث إلى طفل: «حسناً، ها قد تحدثت إليّ، وانا افوض هربرت بأن يتصرف.» وهم بالإبتعاد عنها وهو يقول: «عندما أراه بعد دقائق، سأخبره بأنه مفوض بأن يهتم بالأمر.»

ولكن جايمي مدت يدها تمسك بيده قائلة بتوسل: «الأمر يتعلق بمنزل غريتا.»

«إذا كنت تريدين شراءه، فعليك طبعاً ان تتحدثي بذلك إلى هربرت وليس إليّ. فهو الوكيل المفوض بكل شيء إلى ان تستقر أمور الأملاك. والآن عليّ ان اذهب في الحقيقة، لأن

الجمع هنا متوقفون إلى ان تتحرك سيارتي من طريقهم.» انحنى لها بأدب ثم أسرع إلى سيارته الليموزين.

أخذت تحدق في أثره مذهولة وقد منعها الإنزعاج من ان تتجه إلى سيارتها.

لا عجب ان سايمون نيكولز لم يكن يشعر بالبرد، فهو نفسه لوح من الثلج حتى قبل ان يأتي إلى المقبرة وربما من حسن حظ غريتا انه لم يكن يأتي مرار الزيارتها وإلا لانكسر قلبها لمعرفة حقيقته...وكانت جايمي من انشغال البال بحيث لم تسمع ذلك الصوت الذي كان يناديها، ولم تدرك ان هربرت بجانبها إلا بعد ان امسك بذراعها، وهو يقول: «انا مسرور إذ لحقت بك.»

فقالت: «والآن ماذا تريدني ان افعل يا هربرت، لقد نصحتني بأن اتكلم مع كيس الثلج ذاك، ففعلت ولكنه قال ان عليّ ان اتحدث اليك في ذلك، حتى انه لم يشأ ان يدعني اخبره بماهية الأمر.»

«لا تحزني يا جايمي، فهو مستعجل، فهو يريد الرحيل في أسرع وقت ممكن، ولهذا أريد منك ان تأتي إلى منزل غريتا في هذه اللحظة.»

فأجفلت: «الآن؟ اتعني انك سألته عن هذا الأمر؟»

«اتعنين عن مشروع الخدمات المتحدة؟ كلا بالطبع، فأنا أريدك ان تأتي لسماع الوصية.»

«وصية غريتا؟ ولماذا تريد مني الذهاب لأجل ذلك؟»

«لا يمكنني ان اخبرك في هذه اللحظة، كل ما بإمكاني قوله هو ان رغبة غريتا نفسها هي في ان تكوني موجودة.»

«اتراها تركت لي بعض الكتب أو الحلي أو بعض

الأشياء؟» وتنهدت. «لا بأس يا هربرت سأكون هناك في أسرع وقت ممكن.»

استغرق منها تمكنها من الخروج بسيارتها من زحمة السير تلك، ربع ساعة، ولكنها سارت أخيراً في اتجاه مدينة سمرسيت ومن ثم إلى المنزل الذي أمضت فيه غريتا تشادويك حياتها كلها.

كان عبارة عن بناء أبيض إيطالي الطراز قائم في المنطقة الصناعية من المدينة، بعيداً عن الشارع وتحيط به مروج منحدرة، وفي هذا الفصل من السنة، لم يكن يبدو منه من الألوان سوى اللون الأخضر الكامد لمجموعة اشجار الصنوبر تلك اسفل المنزل، ولكن في خلال شهر أو نحوه سرعان ما ستمنح الأزهار المختلفة الأنواع والألوان البهجة للمكان في الوقت نفسه الذي تبدأ فيه السياحة كما كان رأي جايمي في الخريف الماضي وهي تتحدث مع غريتا لأول مرة عن فتح منزل تشادويك للناس، ذلك ان غريتا تعشق الأزهار، وستشعر بالزهو...

تأوهت جايمي قليلاً، فقد كان حزنها يزداد في كل مرة تجد فيها نفسها تفكر في غريتا وكأنها مازالت حية.

لن تكون غريتا موجودة حين تتفتح الأزهار في هذا الربيع، كما انه لن يكون بإمكانها ان تساعد في إرشاد السائحين في أنحاء المنزل.

ولكن الأمر يبدو الآن وكأنه لن تكون هناك سياحة ان لم يقبل سايمون نيكولز حتى بالإستماع اليها، كما خيل إلى جايمي ان القرار في هذا لو ترك لهربرت اندرسون لفضل هذا ان لا يغضب عميله، والآن وبعد ان واجهت جايمي الرجل بنفسها، استطاعت ان تفهم وجهة نظر هربرت.

وهي الآن امام خيارين، اما ان تترك الموضوع بأسره، وإما ان تستغل هذه الفرصة الثانية لتحاول اقناع سايمون نيكولز بفائدة مشروعها، وذلك بإثارة الأمر من جديد. وكانت تضع في حسابها رفض سايمون لها كلياً، وكانت تعرف ان هربرت ليس بإمكانه مطلقاً الاعتراض على قرار سايمون، حينذاك، ولكنها في ناحية أخرى إذا هي بقيت هادئة آملة في ان تتحدث إلى هربرت في ان يتعاونا معاً، دون علم سايمون، في ذلك الأمر... فإن هذا يبدو لها من باب الخداع والتآمر.

وتجاوب في رأسها صدى وصية جدتها المعتادة لها «اذا كان عليك يوماً ان تختاري بين أمرين، يا جايمي، فاختاري الحقيقة دوماً. فهي على المدى الطويل، اقل إزعاجاً ومشاكل بكثير.»

لكن الجدة لم تتعامل قط مع سايمون نيكولز... ولكن جايمي ذكرت نفسها بأنها هي أيضاً لم يسبق لها التعامل معه، وليس من الصواب الحكم على رجل لمجرد الحديث معه لمدة دقيقتين خارج المقبرة اثناء الانتهاء من جنازة عمته. وقد تجده عندما تتحدث إليه بين الجدران، حيث الدفء والهدوء، قد تجده منطقياً للغاية.

كان منزل تشادويك يوماً ما، المركز الثقافي في مدينة سمرسيت رغم انه لم يكن اكبر البيوت حجماً فيها، فعلى مائدة عشاء والدي غريتا، ولدت فكرة وضع سمفونية محلية، كما ان فرقة المسرح الصغير في المدينة بقيت تتدرب على التمثيليات فوق سطح كاراج العربات سنوات طويلة.

أوقفت جايمي سيارتها امام المنزل. وكان البرج الذي يعلو

المدخل الرئيسي يرتفع مستقيماً شامخاً، ومع ان الدعامات التي تزين سقفه كان قد ابتدأ الطلاء يتساقط عنها كما ان القليل فقط من زجاج بعض النوافذ المقوسة المطبوع بالصور الملونة مايزال على اصالته. والباب الأمامي كان من الخشب المنحوت بنقوش معقدة، وأشغال الخشب في الداخل لم يعد دهانها كأمثاله من البيوت التي من نفس زمنه، كما ان قسماً من السقف يتسرب منه الماء باستمرار ما كان يزعج غريتا طوال السنة الأخيرة، رغم كل ذلك، كان المنزل نسبياً حسن المظهر.

ولكن المنطقة تغيرت بمرور السنين. فامتدت احياء السكن نحو المنزل، وانتشرت البيوت على التلال، وهي التي كانت متجمعة قرب النهر.

قرعت الجرس، فتجاوبت في المنزل مجموعة الأجراس الرنانة، واضحة رغم سمك الجدران، لم يعد احد يصنع الأجراس بهذا الشكل بعد الآن.

فتح الباب وأطلت منه امرأة صغيرة الحجم اخذت تحدّق في جايمي. كان شعرها الأبيض اشعث وعيناها حمراوين منتفختين من البكاء، وبدا عليها انها لم ترقد منذ ايام، شعرت جايمي برغبة في احتضانها والبكاء هي أيضاً، ولكنها عندما وجدت بيس تحاول تمالك نفسها، رافعة الرأس، احترمت رغبتها وقالت لها: «مرحباً، يا بيس، لقد طلب مني السيد أندرسون المجيء.»

فأومأت المرأة: «لقد قال انك ستحضرين للاستماع إلى قراءة الوصية، انه لم يحضر بعد، ولكن السيد سايمون في غرفة المكتبة، لقد اشغلت المدفأة هناك حال عودتي من الجنازة، وسأحضر القهوة إلى هناك بسرعة.»

دخلت جايمي إلى الردهة ونزعت قبعتها وعلقتها على المشجب امام المرآة الكبيرة الحجم ثم اخذت تصلح من شعرها وتعقصه خلف رقبتها، ثم علقت معطفها أيضاً وسوت من تنورتها الطويلة، ولكن من الأفضل ان تكف عن هذا التباطؤ وتستغل فرصة وجودها مع سايمون نيكولز وتتحدث إليه لأنها كانت واثقة من انها لن تجد فرصة أخرى لذلك. كما ان وقتها قد يكون ضيقاً، إذ ليس لديها فكرة عن عدد القادمين لسماع وصية غريتا.

اتجهت إلى غرفة المكتبة، وكان بابها نصف مفتوح، فوقفت تأخذ نفساً عميقاً ثم دخلت، محدثة نفسها بأنها انما تدخل إلى خشبة مسرح تمثل عليه حياتها.

رأت سايمون نيكولز واقفاً بجانب المدفأة يحدق في النيران الملتهبة، وتساءلت عما عسى ان يكون شعوره. أتراه الندم لأنه لم يأت لرؤية غريتا للمرة الأخيرة؟ أم هو الضيق لهذا التأخير عن الاسراع بالعودة إلى ذلك الأمر الهام الذي كان بانتظاره هذا النهار؟

قالت له: «صباح الخير مرة أخرى.»

فأجفل قليلاً، ثم التفت اليها: «ما الذي تفعلينه هنا.»

«لقد وجهت إليّ دعوة، وبما ان لدينا عدة دقائق فراغ قبل وصول هربرت، ربما لا مانع لديك إذا انا عدت للحديث عن عمل غريتا غير المنتهي.»

«ومن هو الذي دعاك؟»

«هربرت، ولا أدري لماذا، ربما يعني ان غريتا قد تركت لي سوارها الذي كانت تحبه، هل نجلس؟»

«يمكنك ذلك إذا شئت، فقد سبق وجربت ذلك.»

كتمت جايمي ضحكتها، واختارت مقعداً بحذر وجلست على حافته وهي تقول: «من هنا يمكننا ان نبدأ، انها كراسي رائعة...»

فقاطعها: «دعي هذا الحديث لنفسك.»

«ولكن آخر مرة غيروا فيها القماش، كما أظن، كان قبل الحرب العالمية الأولى، وهذا الكرسي...»

وأشارت إلى كرسي مهترىء الظهر، «كان يناسب جسم غريتا تماماً، ولهذا لم تلاحظ كم كان يضايق أي شخص يجلس عليه.»

أدار سايمون ظهره إلى النار، كان هناك صورة فوتوغرافية على كل طرف من رف المدفأة بموازاة وجهه بالضبط.

سألها: «هل لديك مانع من الخوض في الموضوع؟»

«لقد بذلت جهداً كبيراً في اقناعها بأن الكراسي هذه والمنزل عموماً، بحاجة إلى اصلاح جذري.»

ضاقت عيناه وهو يقول: «اظن هذا يعني انك مهندسة ديكور داخلي.»

رأت جايمي وقد تملكها الضيق، ان سؤاله هذا يتضمن الشك في نزاهتها، فقالت: «نعم، فقد كنت اقوم لأجلها ببعض الأعمال...»

فقال: «اظنها وافقتك عل اجراء بعض الاصلاحات في المكان، وإذا بالوفاة تدركها، حسناً، انني آسف ولكن هذا ما يحدث احياناً بالنسبة للمشاريع العملية، أرسلي إلى هربرت بقائمة بالعمل الذي لا يمكن ان يلغى، وهكذا ينتهي الأمر.»

فقالت بحزم: «هذه ليست نهاية الأمر، فالمسألة اكثر تعقيداً من هذا بكثير، ذلك ان غريتا لم يكن بمقدورها القيام بكل ما يحتاجه المنزل من اصلاحات، وهكذا خططنا لمشروع معين.»

فرفع حاجبيه، وأحست هي بما يتملكه من شكوك، فأسرعت تقول: «انه ترتيب عادي، فإن الخدمات المتحدة في المدينة تمول مشروعاً كبيراً كل سنة، وهذه السنة استقر رأينا على جعل المنزل معرضاً للعموم.»

«أرجو ان توضحي لي ذلك.»

ها قد ابتدأ يستمع إليها على الأقل، فقالت: «حسناً، تتكاتف مجموعة من مهندسي الديكور على القيام باصلاح منزل وترميمه وزخرفته وتأثيثه، وبعد ذلك يعرض المنزل على الزوار لمدة عدة أسابيع، اما ثمن التذاكر فيذهب للأعمال الخيرية والتي هي في حالتنا هذه الأعمال التي تساندها الخدمات المتحدة. اما المهندسون فلقاء مساهمتهم الخيرية هذه يحصلون على إعفاء ضريبي وكل انواع الدعاية لعملهم اما الناس فيمضون وقتاً ممتعاً، واصحاب المنزل يحصلون على اصلاح وتأثيث مجاني لبيتهم.»

«وهل وافقت غريتا على ذلك؟»

«نعم.»

«هل لديك عقد؟»

أحابت بضجر: «كلا بالطبع، فقد كنت اتعامل مع صديقة.»

«إذن، فالمنزل ينقصك الآن.»

«نعم، على وجه التقريب، ولكن إذا انت...»

«اسمعي، انني واثق من حسن نيتك، وأنا آسف للإزعاج، ولكنني لا أدري ما يمكنني ان اقوم به في هذا الشأن.»

فعضت جايمي شفتها، وذكرت نفسها بأن ليس ثمة سبب يجعل من الضروري ان يكون لسايمون نيكولز نفس الميل الذي تريده غريتا، ولكن قد تحرك مشاعره الرغبة في عمل الخير.

فقالت: «لقد سبق وحصلنا على كل المواد. فهناك غرفة نوم مليئة بالدهان وورق الجدران، ولو لم تمرض غريتا لكنا الآن قد ابتدأنا في العمل.»

«هذا من حسن الحظ، الا تظنين ذلك؟ إن بإمكانك إعادة كل شيء.»

«ليس المواد التي تباع بطلب شخصي، وعلى كل حال، فقد سبق وانفقنا نقوداً لن نستطيع استردادها وذلك لأجل اشياء كالإعلانات وإصدار كتيبات للتوزيع.» أخرجت ورقة من حقيبتها وناولتها إلى سايمون، ولكنه لم يمد يده إليها، فالقتها على المكتب وهي تتابع قائلة: «اننا ندعوه منزل الاحلام. ولكن اذا استمر الحال بهذا الشكل فسيستحيل إلى كابوس، وإذا نحن لم نتابع المشروع، فستصبح المجموعة المتكاتفة في مأزق مالي خطير، وأعمالنا الخيرية سيتوقف تمويلها.»

«حاولي الحصول على منزل آخر.»

«ليس هناك وقت لذلك، فالمعرض سيبدأ أول نيسان (ابريل) وهذا يعني بعد ثلاثة أسابيع فقط. على كل حال، المواد التي اشتريناها للإستعمال هنا لا تتلاءم مع أي منزل آخر.»

فقال: «انا آسف، ولكن...»

دخلت بيس وهي تحمل صينية بين يديها. كانت يداها ترتجفان قليلاً لثقل وزنها، وقفزت جايمي عن كرسيها تزيح رزمة كتب عن زاوية مكتب غريتا، بينما اخذ سايمون الصينية.

قالت بيس: «شكراً، لا أدري لماذا ولكن الصينية هذه تبدو أثقل في كل مرة أحملها فيها.» ثم خرجت من الغرفة.

كان على الصينية ثلاثة اكواب، ويبدو كما رأت جايمي، انه لن يكون هناك كثيرون، فأين هو هربرت إذن إذا كان غير مشغول بجمع بقية الورثة؟ أتراه تعمّد اعطاءها فرصة للتفاهم مع سايمون؟ إذا كان ذلك حقاً، فهذه لفتة ذكية منه، وان كانت غير مجدية.

سألته: «اتريد قشدة وسكراً مع القهوة؟»

هز رأسه: «لا أريد شيئاً، اشكرك.»

سألته بشيء من الحدة: «اتعني انك لا تريد شيئاً مع القهوة، ام انك لا تريد القهوة مطلقاً؟»

فابتسم، وكانت هي متوقعة عبوسه، ناولته كوبه، بينما قال متفكهاً: «ان بيس لا تنفك عن القول بأن الصينية تثقل بين يديها يوماً عن يوم، وذلك منذ وقت لا أتذكره.»

«لقد امضت مع غريتا وقتاً طويلاً، أليس كذلك؟ ماذا سيحدث لها؟»

«انصحك بأن لا تقلقي لهذا الأمر، فأنا واثق من ان خالتي قد رتبت أمرها.»

تابعت تقول: «كما سبق وقلت، العثور على منزل آخر...»

تنهد سايمون: «انك لا تذعنين ابداً، أليس كذلك؟»

«كلا مادام الأمر ذا أهمية، الانتقال إلى منزل آخر غير ممكن في هذا الوقت المتأخر، فليس بإمكان كل أسرة ان

تنتقل من منزلها في مثل هذا الوقت القصير وذلك لمدة شهرين، كما أن ليس بإمكان كل شخص ان يدفع رهناً ليستأجر منزلاً آخر كذلك...»

«آه، ومنظمتك هذه لا تدفع حتى الإيجار.»

«حسناً، كلا، ولكن كل الفوائد تذهب إلى العمل الخيري... ولكن اصلاح المنزل والأثاث ليس قليل الفائدة بالنسبة لصاحب البيت.»

«ولكنه أيضاً ليس من الأوليات في قائمتي.»

«انك تعلم ان مشيئة غريتا كانت في استمرار هذا المشروع.»

فلم يجب، ولكن ارتفاع حاجبيه أوضح شكه في هذا الأمر.

جربت جايمي طريقة أخرى: «ما الذي تعتزمه بالنسبة للمنزل، يا سيد نيكولز؟»

«أليس هذا سؤالاً سابقاً لأوانه؟ انني لم أرثه بعد.»

فعبست قليلاً. ذلك انه لم يخطر لها ان غريتا قد تتصرف بالنسبة للمكان، بشكل مغاير، فهي لم تذكر قط اقرباء آخرين وإنما سايمون فقط، وعادت تقول: «ألا تعلم ما كانت خالتك تنويه بالنسبة لأملاكها؟»

«دوماً كانت تشير إلى ان كل شيء تملكه سيؤول إليّ، ولكن...»

«إذن فهو ليس سؤالاً سابقاً لأوانه، وإنما فقط ليس رسمياً بعد، ما الذي ستفعله بالبيت؟»

«من المفروغ منه، طبعاً، انه لن يباع لكي يسدّد فواتير خالتي...»

«آه، انا لم افكر في ذلك.»

«ظننت انك ربما لم تفكري. وعلى كل حال، فهذا لا يهم كثيراً، وحيث انني لم افكر قط في العيش في سمرسيت، فالمفروض انني سأبيعه على كل حال.»

«حسناً، لماذا لم تقل ذلك منذ البداية؟ هل توافقني على ان المنزل حالياً يبدو سيىء المظهر إلى حد كبير؟»

أخذ ينظر حوله وكأنه لم ير المكان من قبل. «نعم، فالأثاث رث حقاً، ولكن ما دخل ذلك بالبيت نفسه...»

«لا بأس، فبالنسبة إلى المكتبة، معك حق.» وأشارت بيدها إلى الرفوف. «الخشب بحاجة إلى تنظيف جيد طبعاً، كما ان المكان بحاجة إلى ستائر جديدة، ولكن هذا ليس كل شيء، على كل حال، إذا انت سرت من الردهة إلى قاعة الاستقبال، فسترى ما أعنيه، ورق الجدران قديم متساقط، و...»

«هذا هو المفروض، فهو لم يتغير منذ ثلاثين عاماً.»

«هذا هو قصدي، فحين كانت غريتا موجودة، لم يكن احد يلاحظ ذلك... فقد كانت شخصيتها الحية المشعة تملأ المكان بالنور.» وحاولت جايمي ابتلاع غصة في حلقها. «ولكن عرضه للبيع، هو شيء آخر، فإذا ظن الناس ان المنزل كان مهملاً، أو إذا كان كل ما يرونه اصلاحات كبيرة عليهم القيام بها، فهذا ينعكس على الثمن الذي سيدفعونه فيه.»

فقال بلطف: «ولرقة قلبك انت تريدين ان تهتمي بتلك المشكلة الصغيرة، لأجلي، فما أحلى هذا.»

«ان هذا سيأتينا، نحن الاثنين، بفائدة جيدة، فدع الخدمات المتحدة تجدد المنزل والأثاث لك، وبعد شهرين ستحصل على مبلغ كبير من وراء المكان... دون حاجة لإستثماره.»

«وماذا لو لم أشأ انا الانتظار لمدة شهرين؟»

«عليك ان تنتظر فترة على كل حال، فاستقرار أمور الميراث يستغرق وقتاً مهما كنت مستعجلاً، ومن ناحية أخرى، كم هي الطلبات، في رأيك، لمنزل كهذا؟ هناك كثير من البيوت القديمة هنا، بينما لا يوجد كثير من الشارين. فلماذا لا تدعنا نستغله في نفس الوقت؟»

«يبدو عليك انك غير واثقة من انه يمكن لشخص ما ان يُعجب بالمنزل من أول نظرة.»

«آه، هذا ممكن، ولكن قبل ان يبدأ الناس في عد النقود، يتوّخون عموماً الدقة بالنسبة للبيوت القديمة، وبعد هل انت ضد احتمال وقوع شخص بحبه بينما يكون لديه ما يكفي من المال لشرائه على الفور؟»

«عليّ ان اعترف بأن لديك نقطة هامة.»

«ان المنزل سيباع بشكل أسرع بعد إصلاحه، فكر فقط في عدد الناس الذين سيأتون لرؤيته والناس الذين لن يأتوا مطلقاً إذا لم يتم إصلاحه.»

سألها قائلاً: «اين كانت غريتا تنوي ان تقيم أثناء اصلاح المنزل؟»

نظرت جايمي إليه بحذر، ثم قالت: «كانت ستقيم معي، وكانت بيس ستذهب لتزور أسرتها، لماذا؟»

قال بعد لحظة صمت: «هذا لا يدهشني. فامرأة كبيرة السن، بريئة نوعاً ما، ووحيدة... حتى انها قد يصح وصفها بأنها ساذجة...»

ذهلت جايمي لحظة، ثم اخذت تضحك: «ساذجة؟ هل انت تتحدث عن غريتا؟ أرجوك...»

«يبدو انه كان من السهل عليك استغلالها.» فشهقت جايمي ذاهلة.

عاد يقول بلطف: «طبعاً لسبب حسن، ولا شك ان الزهو تملكها بسبب امرأة شابة ابدت لها المودة والصداقة، فأنت... جذابة للغاية.»

أخذت نظراته تجول في انحاء جسمها متفحصة، ونهضت جايمي واقفة: «لم يوجه أحد إليّ مثل هذه الإهانة في حياتي.»

«أحقاً؟ كنت اظنني اجاملك.»

فقررت أن لا تجعله يشعر بالسرور لاهتمامها بقوله هذا، فقالت: «غريتا... وحيدة؟ هذا غير صحيح، ولكن إذا كنت تفكر حقاً في انها كانت وحيدة، فلماذا لم تقم بشيء في هذا السبيل أثناء حياتها؟ لقد كنت انا صديقة غريتا... وبصرف النظر عما تظنه انت، كنا صديقتين... ولمدة سنتين، فلم أر وجهك قط.»

التفت ببطء وكأنه يتأمل الصورتين الموضوعتين على رف المدفأة، بينما اضافت جايمي: «ما عدا في هاتين الصورتين السخيفتين، وإذا كنت تظن ان ارسالك اليها صورة لك كل فترة، هي بديل زيارة منك لها...»

فزمجر قائلاً: «ومن طلب منك الحكم عى علاقتي بعمتي؟»

حدثت جايمي نفسها بأن آخر أمل لها قد ذهب، صحيح انه لم يكن هناك أمل كبير في ان يتعاون معها، ولكنها الآن قد أفسدت كل شيء، وقد اصبح عليها ان تعود إلى هولي وتخبرها بأن منزل الاحلام، قد مات، وعليهما عند ذاك، ان تحددا ما لديهما

من اموال، ثم تعينا مبلغاً خاصاً يدفعه كل عضو وذلك لمعالجة العجز في الميزانية، ثم تشرعان في محاولة رفع التمويل لأجل المؤسسات الخيرية التي تعتمد عليهما.

فتح باب المكتبة ودخل منه هربرت اندرسون حاملاً حقيبة أوراقه، وهو يقول ببشاشة: «ما أجمل هذه النيران المشتعلة، وهناك قهوة أيضاً، كما أرى، انني آسف لتأخري، يا سايمون. انني اعلم مقدار لهفتك للرحيل، ولكن كان عليّ ان احضر الوصية من خزينتي، وانت تعرف مثل هذه الأمور، إذ ما ان تضع قدمك في المكتب حتى يأتي كل شخص ليطلب شيئاً.» واخذ يدعك يديه فوق نيران المدفأة ثم يتناول فنجان قهوة من يد جايمي «وعلى كل حال فقد كانت تلك فرصة لكما للحديث، هل دار بينكما حديث حسن؟»

عندما قوبل بالصمت أخذ ينقل نظراته بينهما، والفضول يطل من عينيه: «آه، نعم، حسناً، اظن من الأفضل ان نبدأ العمل.» ضغط الجرس الذي بجانب المدفأة، ثم دار فجلس خلف المكتب وفتح حقيبة اوراقه وهو يقول: «حالما تحضر بيس سنبدأ.»

أخذت جايمي تفكر في أنه لا بد يعني ان بيس مذكورة في الوصية، وهذا يثبت كلام السيد نيكولز...

دخلت بيس ووقفت بهدوء في الزاوية. اشارت لها جايمي إلى كرسي لتجلس عليه، ولكن هذه هزت رأسها.

قال سايمون دون ان يبتعد عن رف المدفأة: «انها امرأة حكيمة.»

أخرج هربرت ملفاً أزرق اللون من حقيبته وفتحه. ثم شرع في القراءة.

«أنا، غريتا أيرين تشادويك، ألغي وصيتي السابقة وملحقاتها...»

استقامت جايمي في جلستها، هل يعني هذا ان غريتا قد كتبت وصية جديدة حديثاً؟

كان هربرت يقول شيئاً عن ديون غريتا ونفقات الجنازة. وهذه كما تعرف جايمي، مجرد عبارات قانونية معتادة. متى سينتقل إلى المضمون الهام؟ إذا كانت غريتا قد تركت كل ما تملكه لبيس، فأي تعبير مضحك سيرتسم على وجه سايمون نيكولز؟

وقرأ هربرت (انني أوجه الاهتمام إلى تفاصيل ميراثي كما أريده ان يتوزع، أثاث غرفة نومي بما في ذلك السرير ذو الأعمدة الأربعة وخزانة الثياب وبقية الأثاث يجب ان تعطى لجايمي آن لوغان...)

تملكت الرقة والحنان فؤاد جايمي، فقد كان اثاث غرفة غريتا من الدرجة الأولى، وكانت مزهوة بها للغاية، وفكرة انها اختارت جايمي للعناية بها قد خفف من حزن هذه الأخيرة عليها نوعاً ما، فأن تمنحها أعز ما تملك من اثاث شخصي... ولكن هذه هي شخصية غريتا.

اما ما فكرت غريتا فيه من كيفية تصرف جايمي بمثل هذا الأثاث وماذا ستفعل به، فهذه قصة أخرى، فقد كان ارتفاع خزانة الثياب حوالي ثلاثة أمتار والسرير حوالي أربعة امتار، ولا يمكن ان يتلاءم مع شقة جايمي، ولكنها مع هذا كانت هبة رائعة، ولا بد ان سيكون لديها يوماً ما، مكان يتسع لها.

لم تنظر إلى سايمون نيكولز، ولكنها كانت تشعر به

يراقبها، وتساءلت عما تراه يفكر فيه، هل تملكه الضيق من ان تذهب أشياء شخصية حميمة إلى امرأة غريبة؟ ام هو مسرور لأنها لم تحصل على اكثر من ذلك؟

(وكذلك المشجب الكبير المصنوع من خشب الجوز والموجود في الردهة الأمامية، وأيضاً الكرسي الهزاز وطقم مفروشات غرفة الجلوس المخملي الوردي اللون يمنح لجايمي آن لوغان) منحها هربرت ابتسامة تهنئة، ثم قلب الصفحة.

ضغطت جايمي بأناملها على وسط جبهتها شاعرة بألم قد ابتدأ ينبض هناك.

رأت من طرف عينها سايمون وهو يلوى شفتيه محاولاً كبت ابتسامة.

وتابع هربرت: (الأثاث في الغرفة الخلفية والتي تدعى عادة غرفة بيس تعطى لبيس بوميروي مكافأة لخدمتها الطويلة لي.)

ونسيت جايمي اهتمامها بنفسها، هل هذا كل شيء؟ بعد عشرين عاماً كرستها بيس للخدمة تحصل فقط على سرير وأريكة؟ ليست هذه طباع غريتا، فقالت بانفعال: «هربرت، لا يمكن ان يكون هذا صواباً.»

فعبس سايمون، بينما نظر هربرت إليها قائلاً: «ما الأمر، يا جايمي؟»

«هل هذا كل شيء؟ اعني لا بد ان غريتا تركت لبيس بعض المال، فليس من عادتها اغفال أمر كهذا.»

غيّر سايمون مكان وقوفه، وبدا عليه عدم الارتياح ونفاد الصبر، لم تهتم جايمي له، فمهما كانت لهفته إلى

مغادرة سمرسيت، فإن بيس أمرها هام هي الأخرى ويجب ان يتحدثوا بشأنها.

قالت بيس: «لا بأس في ذلك يا آنسة جايمي، صدقيني.»

«بل هنالك بأس...» وانتبهت جايمي إلى مبلغ شعور بيس بالحرج من هذا الحديث، فعادت تجلس في كرسيها وهي تقول: «انا آسفة، يا بيس، سنتحدث في هذا الأمر فيما بعد.»

ابتسمت بيس وقد اغرورقت عيناها بالدموع: «هذا لطف بالغ منك، يا آنسة جايمي. ولكن السيدة غريتا اهتمت بكل هذه الأمور. فقد رتبت لي راتب تقاعد.»

نظر سايمون إلى جايمي وكأنه يقول لها، هل رأيت؟ لقد قلت لك ان لا تقلقي لهذا الشأن.

تنحنح هربرت وعاد ينظر إلى الوصية (أما بقية ميراثي فأتركه لإبن أخي سايمون تشادويك نيكولز من اتلانتا، جورجيا.)

لم يكن في ذلك أية غرابة فسايمون حصل على كل شيء آخر تركته غريتا، أو كما سبق وقال، ما يبقى منه بعد دفع الفواتير وضرائب الأملاك، كذلك حصل على الأثاث، الأشياء الشخصية، النقود، المنزل...

وهكذا عندما تنتهي هذه الجلسة المملة، ستذهب هي لزيارة هولي ديرموت ليقرر اما سيفعلانه بالنسبة للمشروع.

فقط لو ان هناك منزلاً آخر، ربما يرغب اصحاب الفندق في إعادة دهن فندقهم ذاك، فهو قديم البناء كمنزل غريتا ولا شك ان ورق الجدران والدهان بحاجة إلى تجديد، ولكنها واثقة من ان ليس بإمكانهم ان يغلقوا فندقهم لمدة شهرين...

وقرأ هربرت، (انني أرشح جايمي آن لوغان...)

استقامت جايمي في جلستها: «ماذا؟»

(لتكون منفذة وصيتي وبشكل مباشر ومن دون عقد قانوني...)

أخذت تفكر ذاهلة... منفذة الوصية؟ لقد جعلت غريتا من جايمي الشخص الذي ينهي كل تفاصيل حياتها، فترتب أمر قوائم الحساب، وتدفع الديون، وتلاحق الأملاك، وتبيع الأمتعة وتدفع الضرائب وتملأ الأوراق الرسمية، وأخيراً توزع كل شيء على الورثة. كان ذلك عملاً لا تستحق عليه كلمة شكر، وهو عادة يعطى للشخص الذي يرث القسم الأكبر من الأملاك... أي أقرب الأقرباء للمتوفي، وبكلمة أخرى سايمون نيكولز.

فلماذا إذن اختارت غريتا جايمي بدلاً منه؟

الفصل الثاني

كان ذهن جايمي بالغ التشوش، فلو كان هناك عدة ورثة لكان معقولاً أن يكلف المتوفي شخصاً غريباً لتنفيذ الوصية بدلاً من ان يكلف شخصاً منهم فذلك يمنع عدم العدالة... أو ربما الأهم من ذلك ان يرتب منفذ الوصية الأشياء لمصلحته وليس لمصلحة الجميع، ولكن سايمون هو الوارث الوحيد فما الضرر الذي ينتج عن تكليفه بالقيام بتفاصيل ميراثه القانونية؟

قالت جايمي بحدة: «لا أدري ما الذي كانت غريتا تفكر فيه، من الغباء جري إلى مثل هذا المأزق.»

تمتم سايمون يقول: «في رأيي اننا أنا وأنت، قد وجدنا أخيراً ما نتفق عليه.»

التفتت إليه بحدة وإذا بها تجفل للتعبير الذي بدا على وجهه، فقد بدا وكأن حشرة سامة قد لدغته، ولمجرد رؤيتها نظرته هذه شعرت بالإستياء البالغ يتملكها، ما الذي يجعل سايمون نيكولز بهذا العناد، على كل حال؟ فقد كانت طلبت منه خدمة، وهذا كل شيء... فماذا في هذا؟ ثم انها اعطيت عدة قطع من الأثاث كانت غريتا تريد التخلص منها كما هو واضح، فالأمر لم يكن وكأنها استولت على كل ميراثه.

سكت هربرت ثم تنحنح واخيراً تابع القراءة: «ثم انني أوصي بالإضافة إلى السلطة القانونية التي منحتها لجايمي آن لوغان، أوصي لها بالحق في ان تؤجر وتبيع وترهن أو تعطل أي املاك حقيقية أو شخصية قد تحتويها

www.elromancia.com

أملاكي، وذلك من دون أمر من المحكمة ومن دون إشعار احد.»

اندفع سايمون لينحني فوق المكتب: «دعني أر ذلك، يا هربرت، هل انت غير مؤهل في عملك أم ماذا؟ ألا تدرك ان هذا يعني ان بإمكانها ان تتخلص من الأملاك بأي طريقة تشاء؟»

قالت جايمي له تذكره: «ولكنك انت الذي قلت بأنك ستبيع المنزل، أما بالنسبة للأشياء الأخرى، فلا يبدو عليك انك من النوع العاطفي.»

قال هربرت: «هنالك ضوابط، يا سايمون. فهذا ترتيب محدود، وأنا واثق من ان جايمي ستستشيرك قبل القيام بأي عمل هام، إذا أنت...»

ولكن سايمون تابع يقول: «ثم ماذا كانت عمتي تعني بقولها (من دون عقد قانوني)؟ فليس هناك أي حماية للأملاك إذا هي اختلست كل قرش كانت غريتا تملكه.»

اندفعت جايمي بالقول: «كيف تجرؤ...» وكبحت بقية كلامها. «ثم ما الذي تتحدث عنه بقولك (كل قرش كانت غريتا تملكه)؟ فالأملاك الرائعة لم تكن تحوي أي نقود.»

«وما أدراك بمسائل غريتا المالية؟ هل كنت تنقبين بين أوراقها؟»

حملقت جايمي فيه وشفتها السفلى ترتجف رغم محاولتها تمالك نفسها: «لقد سبق واخبرتك بأنني كنت صديقتها. وكانت تشركني في أمورها.» رأت الشك في عينيه، فأضافت بلهجة الدفاع: «كيف تظنني علمت بأنها لم تستطع الانفاق على إعادة دهان هذا المنزل؟ لقد اخبرتني غريتا بذلك طبعاً، هذا إلى انك اخبرتني بنفسك ان المنزل قد يباع لدفع الفواتير، ولهذا لا

تتهمني بالتطفل.» التفتت إلى هربرت، «هل انا مرغمة على التورط في هذه الأمور؟ ألا يمكنني ان اقول (كلا)؟»

«طبعاً لأن لديك الخيار، ان بإمكانك رفض هذا الترشيح، والمحكمة تعين منفذاً للوصية، ولكن قبل ان تقرري ذلك، ربما بإمكاني ان ألقي ضوءاً على الأسباب التي جعلت غريتا تعينك انت.»

قال سايمون: «اشك في ذلك.»

أخذ هربرت يقول: «لقد كنت نصحتها بأن تختار شخصاً قريباً منها في المنطقة، لعلمي بأنك تسكن بعيداً ياسايمون، ومشغول بمسؤولياتك الشخصية ما جعلني اشك في انك ترغب بتحمل اعباء تفاصيل تافهة.»

«اشكرك لتفكيرك في راحتي، ولكن مازال هذا لا يفسر السبب الذي دفع عمتي لاختيارها هي.»

قالت جايمي بحدة: «ان لفظ اسمي غير صعب.»

حملق سايمون فيها بغضب، ثم قال لهربرت: «لماذا الآنسة لوغان وليس انت، يا هربرت؟»

هز المحامي كتفيه: «ولكنني مشترك في الأمر كما ترى، مع ان بإمكاني ان اكون منفذ وصية أيضاً، فالحقيقة ان من الأفضل ان يكون هناك شخص مختلف، وبجانب ذلك فإن ما تدفعه للمحامي الذي سيهتم بكل تفاصيل الميراث، هو اكثر بكثير من...»

ولكن جايمي لم تكن تستمع بل كانت تفكر، لماذا يا غريتا جررتني إلى كل هذا؟ وكم سأستغرق من الوقت لأنتهي منه؟ رغم انني من ناحية أخرى...

«ان جايمي سوف تقبض بدل نفقاتها طبعاً، وسوف يكون

تعويضها عن وقتها الذي ستبذله بنسبة مئوية صغيرة من انتاج الاملاك.»

«هذا ليس بالعمل السيء لمن يحصل عليه.»

قالت جايمي: «هربرت، هل لك ان تقرأ ذلك مرة أخرى؟ أعني الجزء المتعلق بالأملاك الحقيقية.»

«أرجوك، هل عليّ ان اسمع ذلك مرة أخرى؟»

«انني في الواقع، لم أنته من الوصية.» واخذ هربرت يعيد قراءة الجزء المتعلق بسلطة منفذ الوصية، ثم تابع، وكان الباقي عبارة عن اصطلاحات قانونية كما رأتها جايمي، فانتظرت بصبر إلى ان انتهى، والأمر الوحيد الذي وجدته بالغ الأهمية كان التاريخ، فقد كتبت غريتا هذه الوصية منذ شهر قبل وفاتها.

قالت: «إذا كان لدى منفذ الوصية السلطة للتوقيع على الإيجارات، فبإمكاني إذن ان أقرر تأجير المنزل لشركة الخدمات المتحدة لمدة شهرين، أليس كذلك؟»

تهالك سايمون على كرسي غريتا المفضل، فتصاعد صرير الحديد ما جعله يجفل: «لماذا لا تجعلي الأمر اكبر من ذلك؟ يمكنك ان تبيعهم المنزل والأثاث وذلك بدولار واحد، وبعد ذلك يمكنك ان تقومي بالدهان وغيره كل عام إذا احببت.»

قالت: «ألا يستطيع سايمون ان يمنعني؟»

فكر هربرت قليلاً: «ان بإمكانه طبعاً ان يقيم عليك دعوى لمنعك من اتخاذ مثل هذه الخطوة.»

استقام سايمون قليلاً في جلسته: «ولكن طالما قمت انت بقرار عملي معقول، وليس بيع أحد الأملاك الثمينة بدولار، مثلاً فلن يكون لدى المحكمة سبب يجعلها ترفض الإذن لك بذلك، وقد يستغرق الأمر شهوراً للتأكد من انك وجدت كل مقتنيات وديون

غريتا، وعلى الأملاك أن تبقى مفتوحة على كل حال، إلى ذلك الحين. وتأجير المنزل لمدة شهرين هو العقل بعينه، خاصة وإصلاح المنزل سيزيد من فرص بيعه في المدى الطويل.»

نظرت إلى سايمون قائلة: «ماذا قلت لك؟»

«لقد جعلت هربرت يفكر مثلك. لماذا أنت واثقة من ان إعادة دهان المنزل سيحدث تحسناً، ربما يريد الناس ان يشتروا بيتاً قديماً كما هو دون تغيير.»

تجاهلت جايمي ذلك وهي تتابع: «وإذا رفع سايمون دعوى ضدي فإن القضية ستستغرق وقتاً اطول بكثير من هذين الشهرين اللذين اطلبهما منه، أليس كذلك؟»

فقال هربرت: «ربما هذا صحيح.»

«إذن، فأنا اقبل رغبة غريتا بأن اكون انا منفذة الوصية، ومنزل الأحلام سيستمر بصفته ذكرى لها، لرغبتها في القيام بآخر عمل رائع لأجل الناس الذين احبتهم.» وقفت جايمي ثم استدارت تواجه سايمون: «سأريك، يا سايمون نيكولز، ففي نهاية الشهرين سأعرض المنزل للبيع... ولن تتمكن انت من تميزه.»

تمتم يقول: «هذا ما انا خائف منه بالدرجة الأولى.»

«عندما ترى الثمن الذي سيجلبه لك، ربما ستشكرني حينذاك، يا سايمون، يمكنني ان ادعوك باسمك الأول، سايمون، أليس كذلك؟ حيث اننا سنعمل معاً منذ الآن.»

«آه، بكل تأكيد. وهذا يشرفني.»

تابعت تقول برقة: «وحالما تنتهي الإجراءات القانونية، فستكتمل الأملاك، وستحصل على كل قرش لك، حتى انني لا اريد منك أجرة... فاستعمال المنزل هي أجرتي.»

ارتفع حاجبا سايمون قليلاً: «لماذا اشك في ان حسابك هذا مضبوط؟»

قال هربرت: «سأترككما الآن لتناقشا التفاصيل، إذن.» وأخذ يعيد الأوراق إلى حقيبته. «تعالي إلى مكتبي غداً، يا جايمي، فعليك ان توقعي بعض الأوراق قبل ان تبدإي العمل.»

قالت جايمي: «سآتي معك الآن وانهي كل شيء.» وعندما وصلت إلى الباب نظرت خلفها، كان مايزال جالساً في كرسي غريتا وقد شبك يديه حول ركبته، كان ينظر إلى جايمي وفي عينيه الخضراوين نظرة اهتز لها جسمها. لو كانت نظرته تلك تدل عن استياء لما ادهشها ذلك، ولكن لم يكن فيها أثر من ذلك، وإنما كان هناك تأمل متزن، وشيء يكاد ان يكون تحدياً.

ارتجفت بالرغم منها، وتساءلت عما إذا كانت قد اضطلعت بعمل هو اكبر مما تستطيع القيام به.

* * *

فيما مضى، كانت منطقة المخازن والمستودعات في مدينة سمرسيت، تحتل ضفتي نهر سمرسيت الذي كان يموج بحركة السير وشحن البضائع بالمراكب، ثم ما لبثت حركة السير ان انتقلت من النهر إلى سكة الحديد، ما جعل المستودعات القديمة الكبرى فارغة مهملة عقوداً من السنين، ولكن المنطقة قد عادت الآن إلى الحياة مرة أخرى بنوع مختلف من التجارة، واتصلت المستودعات ببعضها البعض بسلسلة من الممرات الزجاجية ما كوّن مجمعاً ضخماً للتسوق قد جعلت له نوافذ جديدة تطل على الأفنية.

تجاهلت جايمي الدعوة الساحرة لرشاش النافورة

والمقاعد الخشبية في الفناء الأخضر خارج المدخل، ولم يكن من عادتها اغفال أمر الجو، فقد كانت اختارت هذا الموضع الهام منذ ثلاث سنوات عندما ابتدأت العمل، ويبدو ان اختيارها كان موفقاً.

لم يكن عمل جايمي من النوع الذي يتطلب واجهة للمحل تغري الزبائن بما تعرضه، إذ كان معظم عملها يتعلق بالتعامل مع المتاجر التي ترسل اليها بطلباتها، وهكذا حصرت جايمي نفسها في تنظيم دقيق صغير في واجهة المحل، وقد حولت معظم مساحة أرض المحل إلى معرض لصور الأثاث وعيّنات القماش، كما نظمت المكان المفروض انه مكتب، وذلك بشكل غرفة جلوس صغيرة مريحة للزبائن ليجلسوا فيها للحديث وتناول القهوة وتصفح المجلات.

كانت مساعدتها كوني تسحب عينات النسيج التي انتهى عرضها وهي تتكلم في سماعة هاتف قد وضعتها بين كتفها وأذنها، وعندما دخلت جايمي، بدا الإرتياح على كوني ووضعت يدها على فوهة السماعة متمتمة: «انها هولي ديرموت، وقد اتصلت بك ثلاث مرات هذا العصر.»

أخذت جايمي السماعة وهي تجلس خلف مائدة القهوة والتي كانت تستعملها مكتباً: «آسفة، إذ لم اكن هنا، يا هولي، انك لن تصدقي ما حدث.»

«هل رفض التعاون معك؟»

ضحكت جايمي: «يمكنك ان تقولي هذا.»

«حسناً، لقد دعوت إلى اجتماع عاجل. هذه الليلة.»

«هذا حسن، فنحن بحاجة إلى استعراض التفاصيل قبل ان نبدأ العمل في المنزل.»

«هل نجحت في تحقيق غرضك؟ ولكنني رأيته يهرب منك في المقبرة. لقد رأى ذلك كل شخص كان موجوداً هناك.»

«كان ذلك بداية فقط لمفاوضات طويلة.»

فقالت هولي: «هذا أمر هام جداً، اخبريني ماذا كان عليك ان تتخلي عنه مقابل ذلك؟»

«يمكنني ان اضمن تقريباً، انه في الوقت الذي انتهي فيه من هذا العمل، اكون قد اصبت بالانهيار.» ذلك ان جايمي قبل ان تبدأ بتوقيع الأوراق في مكتب هربرت، لم يكن لديها فكرة عما وضعت نفسها فيه. من المؤكد انها لم تكن حاصلة على الحرية في هذا العمل كما كان سايمون يظن.

«آه، ألن يبقى سايمون هنا إذن؟»

«كلا، لحسن الحظ، فهو في طريقه عائداً إلى جورجيا.»

وسمعت جايمي رنين الأجراس المنبهة التي تنبىء بفتح الباب الخارجي، فقالت: «لقد دخل زبون إلى المحل، يا هولي، وعليّ ان اذهب، أين سيكون الاجتماع؟»

«في منزلي الساعة السابعة.»

«حسناً، إلى اللقاء هناك إذن.»

وضعت السماعة مكانها ورفعت يدها تمر بها على شعرها، انه تقريباً وقت اغلاق المحل. وتمنت ان لا يكون القادم زبوناً يريد ان يمضي الساعات يعمل ذهنه في البحث عن أفكار.

وقفت جايمي عند الباب تنظر إلى رجل فارع القامة ذي شعر أسود جعد وعينين خضراوين.

قالت له: «ظننتك متلهف للعودة.» وتملكها الذعر وهي تجد صوتها يرتجف.

لم يبد على سايمون أنه لاحظ ذلك وهو يقول: «ليس باللهفة التي كنت بها هذا الصباح.»

«إذا كنت تريد ان تقنعي بعدم قبول وضع المنفذة للوصية، فقد فات الأوان لأنني وقعت جميع الأوراق.»

«ما كان لك ان تزعجي نفسك بتجربة شيء نهايته الواضحة هي الفشل.»

رفعت رأسها متحدية: «لا اظنك ستكون مسروراً بالبديل، فقد اخبرني هربرت بأن المحكمة قد تكلف بذلك المصرف الذي كانت غريتا تتعامل معه، والدوائر الرسمية ذات سمعة سيئة بالنسبة لهذه الأمور، فهم يفضلون بيع كل شيء بالمزاد العلني على أن يسألوا الورثة عما يرغبونه.»

«وهل انت ستسألنني؟»

أجفلت لهذا السؤال: «طبعاً سأسأل.» أتراه يظن حقاً انها ستتخلص من اشياء غريتا حتى من دون ان تستشيره؟

«اسمعي يا جايمي، لقد كنت مندهشاً عصر هذا اليوم وانا أريد ان أقرّ بأنني قلت كلاماً كثيراً اكثر مما كان ينبغي لي، وأنا آسف لذلك.»

لم يكن يبدو عليه الأسف، أخذت تنظر اليه بهدوء. «ولكنك مازلت تعتبر ان الحق معك، أليس كذلك؟»

«طبعاً، فأنت عديمة الخبرة كلياً، ثم انك دخيلة...»

«وفي رأيك انني مادمت كنت اقوم باستغلال طيبة قلب غريتا فلماذا لا احاول الاستيلاء على الأملاك؟»

«وهذا أيضاً، لا تفكري في استعمال ما بقي من اموال غريتا لكي تدفعي نفقات تجديد المنزل هذا، وإلا ستجدين نفسك امام المحكمة بسرعة لا تصدقينها.»

«يسرني ان أراك تفكر في انني سأسرق فقط لكي انفق على تجديد المنزل وليس لأجل نفسي.»

«أليس هو الشيء نفسه؟ ثم لا تظني انني قد أذعنت، فقد قررت لتوي ان اجعلك تقومين انت بمهمة توقيع الأوراق المزعجة.»

فقالت بجفاء: «اشكرك كثيراً.»

قال بشبه ابتسامة: «أهلاً وسهلاً، والآن بعد ان تفاهمنا، يمكننا ان نجلس لنتحدث عن املاك غريتا.»

نظرت جايمي حولها، لقد انتقلت كوني إلى المكتب وبإمكانها ان ترى قائمة المبيعات الشهرية على المنضدة وكرهت ان تطلب من المرأة قطع عملها مرة ثانية، ولكن غرفة العرض ليست مناسبة للحديث.

بدا أن سايمون قد عرف ما يجول في خاطرها فقال: «أريد كوب قهوة آخر، ألا يوجد مطعم قريب من هنا؟»

فأومأت تقول: «اظن ان في إمكاني الخروج مبكرة قليلاً...»

لم يكن مطعم رايلي مزدحماً في هذا الوقت المتأخر من العصر، وقادهما النادل إلى مائدة بجانب النافذة تطل على النهر.

نظر سايمون حوله ثم ألقى نظرة على قائمة الطعام: «جو المكان هنا مريح جداً.»

«أشكرك.»

وإذ نظر اليها باستغراب، قالت تشرح له الأمر: «هذه القاعة انشأت حديثاً، وقد افتتحت العام الماضي فقط، وهي من تصميمي.»

«هل تريدين بهذا ان تدفعيني إلى ان اتحدى مؤهلاتك، ثم

تحاولين الدفاع عن نفسك ومن ثم نعود إلى حيث ابتدأنا.»

«إنني لم اقل شيئاً عن...»

«ما كان لك ان تقولي، لقد سبق وقلت لك انني دهشت في البداية، والآن بعد ان تلاشت دهشتي، فلن اتناقش معك، وبالنسبة لتصميم هذه الغرفة، فهو حسن جداً، وغير عادي. ولكن اكثر المطاعم لا يريدون من الزبون ان يشعر بالراحة التامة ما يجعله يجلس الساعات يشرب القهوة. فهم يفضلون ذهاب الزبون لكي يستقبلوا غيره.»

فهزت جايمي كتفيها: «الراحة وسكينة النفس، هذا ما طلبه صاحب المطعم، وأنا دوماً انفذ مطلب الزبون.»

«دوماً؟ هذا شيء هام ما دمت أنا حالياً امثل زبوناً لك...»

«هذا أمر مؤقت إلى ان يستقر الميراث، فلا تبدأ بتكوين الأفكار.»

هز كتفيه وكأنه لم يقتنع، بينما أسرعت هي تقول: «اظنني سأطلب شطائر أيضاً، فأنا لا أشعر بشهية لتناول الغداء.»

«ولا أنا.»

اجفلت جايمي لهدوء وفتور صوته. ولأول مرة لم تر في عينيه سوى التفهم والألم المماثل لما تشعر به، اتراها قللت من مبلغ حزنه على عمته؟

إذا بها تشعر فجأة وكأن حجاباً أسدل على مشاعره، فقد ضاقت عيناه قليلاً، وأصبح صوته اكثر خفوتاً وبطئاً وهو يسألها: «هل السمك هنا جيد؟»

«إنه الأفضل في المدينة.»

نظر سايمون حوله، فجاء النادل، وطلبت جايمي منه

شطائر وقائمة حساب منفصلة، ولكن سايمون طلب سمكاً واخبر النادل بأن يضع كل شيء في قائمة حساب واحدة.

استقامت جايمي في جلستها وهي تقول: «أرى علاقتنا في تقدم، أليس كذلك؟»

بدت السخرية في عينيه وقال: «هل لأنني أدفع ثمن عشائك؟ ربما كان عليّ ان اعطيك قائمة الحساب، وبعد فإن الأملاك تدفع لك نفقاتك.»

«أنا لا اعتبر هذه من النفقات الضرورية لاستعادتها، فقد كنت اعني انك اخذت بنصيحتي بالنسبة للسمك.»

لأول مرة رأته يبتسم، فأجفلت، لم تكن ابتسامة عادية، بل مميزة أشرق لها وجهه واظهرت صفين أبيضين من الأسنان اللامعة، والعينين الخضراوين المتألقتين، وشعرت امام كل هذا بالدوار نوعاً ما.

«ربما بإمكانك ان تبدأ وذلك بأن تخبرني ما الذي تريده من منزل غريتا.»

«الآن؟»

«ليس في هذه اللحظة، كلا، ألا تظن انه من الأفضل لكلينا بأن نجعل كل شيء كتابة؟»

«هل هذا نوع من حماية النفس، يا جايمي؟»

«وهل تلومني؟ في الواقع ليست بالفكرة السيئة ان تدوّن قائمتين واحدة بالأشياء التي تريدها، وأخرى بالتي لا تريدها.»

«هل تتوقعين مني ان اكتب قائمة بكل محتويات المنزل؟»

«كلا بالطبع، فإذا كان هناك شيء غير موجود في أي من القائمتين، فسأسألك، ولكن بهذه الطريقة، لا يكون عليّ ان اسألك لأجل كل قطعة من الأثاث، هل هذا يرضيك؟»

فقال: «نعم يا سيدتي.» كانت الكلمات ساخرة ولكن صوته لم يكن كذلك.

تجاهلت جايمي سخريته تلك، فهي ستقوم بعملها على افضل وجه ممكن، وسيرى في النهاية انها كانت مخلصة.

«ليس هناك داع خاص للعجلة. فقد كنا اتفقنا، انا وغريتا، على ان قطعة أثاث أو تحفة لا يريد مصمم الديكور ان يعرضها في المعرض، يمكن ان توضع في المخزن إلى ان ينتهي العرض. وستبقى هناك إلى ان اسمع خبراً منك، وذلك قبل ان اتخلص من كل شيء.»

«أو قبل ان تبدليها؟»

«اتعني إعادة تنجيد الكراسي وما أشبه؟ لماذا أنت عنيد جداً في رفض انشاء المعرض المنزلي؟ إذا كنت لا تحب فكرة مرور الناس لرؤية أنحاء منزل الأسرة، فعليك ان تعتاد هذا، إذ حالما يعرض المنزل للبيع، فسيأتون جماعات للتفرج.»

قال: «اظنك كنت قلت ان من الصعب بيعه.»

«ولم أغير رأيي، ولكنني فقط اشير إلى ان هناك كثيراً من الفضول عند الناس نحو المنزل، خصوصاً في السنوات الأخيرة منذ لم تعد غريتا تحضر كثيراً من الاجتماعات والمناسبات في النادي. ان الناس سيطلبون التفرج على المنزل سواء أرادوا الشراء أم لا.»

«أليس في المدينة شيء أجمل من هذا العمل؟ ما الذي تقومين به في أوقات فراغك، يا جايمي؟»

فتنهدت: «لا اظن سيكون لدي وقت فراغ في الشهور القليلة القادمة.»

جاء النادل بما طلبا، واخذت جايمي شطائرها بينما ذاق سايمون السمك: «معك حق، فهو لذيذ جداً.»

«هل دهشتك هذه ضرورية؟»

سألها: «لماذا اختارتك عمتي لتنفيذ الوصية؟ ان تفسير هربرت لم يقنعي ربما من المعقول ان تكلف شخصاً في المدينة بذلك، ولكن لماذا انت بالذات؟»

فهزت كتفيها: «ربما كانت تشعر بأنها لن تعيش حتى ترى نجاح المشروع، ولكنها تريد من مشروع العرض ان يستمر إنشاؤه وهي تعلم بأنني سأهتم بذلك.»

«لماذا إذن لم تقل هذا؟»

«وما ادراني؟ ربما رأت من الحماقة، ان تتحدث عن هاجس الموت هذا، ولا يوجد غير هذا التفسير، لأن مرضها الأخير حدث فجأة.»

«وهكذا بدلاً من ان تخبرني بما تريده، استدعت هربرت وغيرت وصيتها بما يقتضيه كل ذلك من جهد؟ هذا ليس رأيي بالنسبة لتوفير الوقت يا جايمي.»

إذن، فقد كان سايمون قد لاحظ تاريخ الوصية هو أيضاً.

وتابع يقول: «فإذا كان هذا ما شعرت به، فلماذا لم تذكر في الوصية بالتفصيل انها تريد ان يستمر مشروع العرض، بدلاً من ان تعينيك منفذة للوصية؟»

«لا أدري، يا سايمون، ولكن لو انها طلبت منك ذلك، لما كان مطلوباً منك ان تنفذ رغباتها.»

قال بحدة: «وكذلك ليس مطلوباً منك تنفيذها.»

قالت بضيق: «ليس هذا ما قصدته بكلامي.»

«لو ان عمتي كانت طلبت مني القيام بأي شيء وذلك بعقود قانونية لفعلته مهما كان وكانت هي تعرف ذلك.»

تحركت جايمي بقلق وهي تدرك، ان استياءه ليس منها بقدر ما هو من غريتا، ان بإمكانها ان تفهم سبب غضبه، والذي هو اخذ مقاليد الأمور منه وتسليمها لشخص آخر لا يعرفه، رغم حسن نية غريتا في إعفائه من مشاق كل ذلك العمل.

ولكنها مع ذلك لم تستطع منع نفسها من القول: «قد تكون غريتا حاولت ذلك، وأنت من الصعب ان يعثر عليك احد، كما تعلم. لقد كان هربرت اخبرني انه اتصل بكل رقم هاتف في دليل هاتف غريتا إلى ان تمكن اخيراً من الاتصال بك.»

قال سايمون بسأم: «وفي هذه الأثناء كانت هي قد ماتت، هل كنت انت بجانبها؟»

«ليس حين الوفاة، كنت احضر إلى المستشفى كلما وجدت وقتاً لذلك، ولكنها كانت في طريق التحسن، ولو كنت اعلم... لقد استدعتني الممرضة، ولكن في الوقت الذي وصلت فيه...»

وتهدج صوتها فمدت يدها تبحث عن منديل وهي تتذكر الغرفة الهادئة وذلك الجسد الصغير المسجى على السرير.

ولكنها ما لبثت ان تمالكت نفسها وسألت سايمون: «ما هو عملك الذي تقوم به، على كل حال؟»

«ألبيتزا.»

«ألبيتزا؟» ذهلت لحظة، ثم تذكرت تعليقه على جو هذا المطعم والاصطلاحات المهنية التي نطق بها، وتابعت تقول: «أتعني ما يشبه المطعم؟ اظن غريتا ذكرت مرة انك تتعاطى بالأمور المالية؟»

«انني أعمل على الآلة الحاسبة من وقت لآخر، ربما هذا ما كانت تعنيه، كما انني احياناً أخلي الموائد وامسحها وأمسح الأرض واقوم بكل ما يحتاجه المكان.»

عقدت جايمي حاجبيها وهي تركز اهتمامها على الشطيرة التي كانت تأكلها. واخذت تفكر في ان سايمون ليس من النوع الذي ينظف الموائد ويمسح الأرض. ان هالة من المسؤولية تحيط بشخصيته وتتعارض مع مثل ذلك العمل، ولكن ربما كان يعني انه مسؤول عن المكان ما يجعله يهتم بكل تفاصيله...

أخيراً سألته: «هل تصنعون بيتزا لذيذة؟»

فبدت عليه الدهشة: «طبعاً، وعندما تذهبين إلى اتلانتا يمكنك ان تتذوقيها.»

«انني لا اذهب كثيراً إلى هناك. فآخر مرة كانت منذ عشر سنوات تقريباً، وكنا فقط قد مررنا فيها عائدين من مدينة ملاهي ديزني، أنا ووالداي وأخي الصغير.»

«في المرة القادمة يجب ان تمكثي فترة أطول، انها مدينة رائعة.»

أخذ يحدثها عن اتلانتا، وعندما جاء النادل ليرفع الصحون، اجفلت جايمي وهي ترى مقدار الوقت الذي مر عليهما، لو كان احد قد اخبرها هذا النهار بأنها ستستمتع بقضاء ساعة مع سايمون نيكولز لضحكت، قالت: «ان عليّ ان اذهب الآن، فلدي اجتماع.»

أومأ سايمون ومد يده إلى قائمة الحساب: «سأترك القائمة التي طلبتها مني على مكتب عمتي.»

«اتعني الآن، هذه الليلة؟ كنت اظنك ستلحق بالطائرة.»

فقال بجفاء: «بأي طائرة تفكرين؟ فقد فاتتني طائرة بعد الظهر، والطائرة التالية لن تكون قبل التاسعة صباحاً.»

قالت: «أتريدني ان اوصلك إلى المطار؟»

«هل تريدين التأكد من خروجي من هذه المدينة؟ كلا، شكراً، سأستدعي هربرت. على كل حال، أنا بحاجة إلى التحدث إليه مرة أخرى.»

«إذن، من الآن فصاعداً سيكون الاتصال بيننا بواسطة الهاتف.»

لمعت عيناه وقال: «لا تحاولي جاهدة ان تظهري نفسك حزينة لفراقي.»

فردت عليه بحدة: «كل ما أرجوه هو ان يكون الرقم الذي اعطاني إياه هربرت هو الصالح.»

«سأكتبه لك فقط فيما لو احتجتني، ولا تعقدي الأمل على شيء، فإنني سأراقبك على الدوام، يا جايمي، وبأي شكل.»

الفصل الثالث

كان منزل والدي جايمي صغيراً متواضعاً يقوم وسط جيران من الطبقة المتوسطة، أوقفت سيارتها عند باب الكاراج عالمة أن والديها في العمل الآن. ولكن بجانب الطريق كانت هناك سيارة قديمة متوقفة، كان ظاهرها مبقعاً بعدة ألوان مختلفة. وكان هذا يعني حظاً حسناً، إذ أن أخاها ما زال في المنزل ولم يذهب بعد إلى الكلية. ولا شك أنه ما زال في الفراش.

فتحت الباب الخلفي بمفتاحها الخاص، وكانت في المطبخ تكتب رسالة لوالديها طالبة استعارة لوح تلصق عليه الاعلانات العامة، وعند ذلك برز أخوها روب وشعره ما زال مبتلاً من الدوش.

مرّ أمامها ثم وضع قطعة خبز سميكة في جهاز تحميص الخبز وهو يقول: «ما رأيك في ايصالي إلى المدرسة، يا جايمي؟»

فقالت: «وماذا حدث لسيارتك؟»

«لقد صدمت بصخرة الليلة الماضية ما أحدث فجوة في جهازها المرهق.»

«وما أدراك؟ ففي أحسن أحوالها كانت السيارة أشبه بالدبابة.»

«لقد ازدادت ضوضاء. وقد اشتبهت في أن العادم يتسرب منها. ليس لدي نقود لإصلاحها إلى أن أحصل على مصروفي الأسبوع القادم...» وجلس إلى مائدة الافطار.

«كيف كنت ستذهب إلى الكلية لو لم أحضر؟»

«لا أدري، ربما بإيقاف السيارات المارة، أو أنزل زجاج السيارة وأسير بها بكل حذر.»

قالت: «لا بأس، يا روب سآخذك مرة واحدة فقط فأنا لست سائقة تاكسي.»

«شكراً، يا جايمي لقد سحقني كرمك.» وقال الجملة الأخيرة بلهجة ساخرة.

«وسأقرضك أيضاً النقود التي تصلح بها السيارة.»

رفع حاجبيه: «أتعلمين؟ أحياناً أجد أن وجود أخت كبرى في البيت ليس بالأمر السيء، سأرد إليك نقودك.»

فتمتمت تقول: «سأدوّن ذلك، ولن أصرّ على استعادتها إذا أنت ساعدتني.»

فنظر إليها: «وبماذا أساعدك؟»

«إنني بحاجة إلى شاب يساعدني في منزل تشادويك كل ليلة هذا الأسبوع، وذلك بنقل الأثاث والأمتعة وما أشبه.»

«لا أدري يا جايمي بالنسبة إلى منزل تشادويك، أن تومي يقول إنه مسكون.»

«ماذا؟ لماذا يقول شيئاً كهذا؟»

«لقد كان شاهد نوراً متحركاً في غرفة البرج عند منتصف الليلة الماضية، ولم يكن في تلك الغرفة ضوء قط قبل وفاة غريتا. ألا ترين الأمر غريباً؟»

«كلا بالطبع، فهي غرفة مخزن فقط، وبعد فلم يكن لدى غريتا أي سبب يجعلها تصعد إلى هناك خصوصاً في الليل، ولهذا لم يكن أحد يرى ضوءاً. يكفي بيس ازعاجاً صعود السلالم العادية، ولهذا كانت تتجنب تلك السلالم الضيقة

الملتوية الصاعدة إلى البرج إلا إذا كان لديها حاجة ماسة لذلك.»

لم يبد على روب الاقتناع، وقال: «لماذا إذن رأى تومي ذلك الضوء الليلة الماضية؟ من كان يوجد هناك إذن؟»

«أظنه سايمون. أما ما الذي كان يبحث عنه في البرج، فهذا ما لا أعرفه.» وذهبت جايمي لتحضر اللوح من غرفتها. اشتبهت في أن سايمون كان يقوم بجرد كامل لما تملكه غريتا، وذلك إلى آخر صندوق في المخزن، وكأنه يخاف أن تهرب جايمي بأي شيء تحصل عليه ولا يكون مدوناً في قائمة.

وجدت اللوح أخيراً ولكن في غرفة روب وكان ملصقاً عليه صور فوتوغرافية تمثله إما مع رفاقه وإما مع فتيات. وكان ملصقاً الصور بالإطار الخشبي ما جعلها تصرف النظر عن أخذه لتعليق الملاحظات والمتطلبات في منزل تشادويك وعليهم أن يستعيضوا عن ذلك بشيء ما.

وهكذا أوصلت أخاها إلى الكلية آخذة منه وعداً بأن يوافيها إلى منزل تشادويك آخر النهار، وهو يقول بحزن: «دوماً أبحث عمن يوصلني، وإذا ذهبت مشياً على الأقدام يأخذ ذلك وقتاً طويلاً.»

قالت له: «كلما أبكرت في الذهاب، انتهيت منه مبكراً قبل أن يظهر ذلك الشبح.»

فقال: «سآخذ معي تومي للمساعدة في إنجاز العمل بسرعة.»

«وهكذا يكون عليّ أن أدفع أجرة مضاعفة لكما أنتما الاثنين.»

فتمتم ضاحكاً وهو ينزل من السيارة: «يا لك من مراقبة عمال لا ترحم.» وربت على كتفها بحنان.

عندما اتجهت جايمي بسيارتها نحو المدينة، أخذت تفكر في أن أخاها فتى طيب حقاً، فهو ليس سيئاً أبداً.

توقفت عند منزل تشادويك لتقوم بفحص بعض تفاصيل العمل، ففي اجتماع الأمس للشركة، قال بعض مصممي الديكور أنهم سيبدأون العمل هذا النهار. وهكذا كان على جايمي أن تتأكد من أن أمتعة غريتا الشخصية قد نقلت من الغرف، ثم هنالك عملها هي الخاص عليها أن تبدأه، فقد كانت وقّعت لعدة غرف مزعجة كالمطبخ، والذي يستغرق ساعات ومزيداً من المال ولكنها لا تلفت النظر كما هو الحال مع الردهة أو غرفة الجلوس اللتين يركز المصممون عليهما اهتمامهم.

ولكنها عادت فذكرت نفسها بأنها قامت بأفضل عمل في العالم عندما اختارت القيام بما رفض بقية المصممين القيام به، فقد كانت تقوم بهذا العمل لأجل غريتا. والآن، بعد أن رحلت غريتا، سيبقى منزل الأحلام ذكرى لها...

لا بد أن غريتا قد أدركت عدم احتمال إزعاج سايمون لنفسه في إصلاح منزل قديم في مدينة سمرسيت، فقد كانت تتوقع أن يحاول التخلص منه بأسرع وقت ممكن، ولهذا رتبت الأمر بحيث تهتم جايمي بالأمر بدلاً منه، وذلك لتجد لمنزلها الغالي مالكاً حسناً ليعتني بتجديده ومراقبة التفاصيل بدقة.

بالنسبة للتفاصيل تلك، من الأفضل أن تجري مسحاً للمنزل هذا الصباح وتجمع كل الفواتير والوصولات

ومستندات المصرف والمراسلات التي تتمكن من العثور عليها.

وكان هربرت أعطاها قائمة لكي تبدأ بها بالبحث عن ديون غريتا والأشياء الثمينة القابلة للبيع والاستفادة بثمنها.

كانت هي تعد نفسها للعمل بأوراق دفع فواتير المستشفى وآخر نفقات المنزل، ولكن لم يكن لديها فكرة عما إذا كان لدى غريتا بوليصة تأمين على الحياة أو حساب بمصرف خارج سمرسيت أو أموال تخفيها في أنحاء المنزل أو أنها كانت أقرضت بعض الناس نقوداً لم تسترجعها بعد. والطريقة الوحيدة لمعرفة ذلك، كما قال هربرت، هي تفحص كل قطعة ورق في المنزل.

كان المطبخ مماثلاً بكآبته ولونه الرمادي للسماء في الخارج. وهذا ما أدهشها. لقد كان على بيس أن تكون في المطبخ الآن تعد القهوة كما أن رائحة طعام الفطور كان ينبغي أن تكون عابقة في جوّ المطبخ، ولكن يبدو أن لا أحد هنا وطبعاً من غير الممكن أن يكون سايمون قد أمر بيس بأن توصله إلى المطار.

أشعلت جايمي الضوء، وشملت المطبخ بنظراتها محاولة أن تتصور التغييرات التي ستحدثها به. لم يكن ثمة شيء سيء في المطبخ، في الحقيقة، رغم أنه مبني في الثلاثينات. فالترتيبات في المطبخ كانت جيدة في أساسها، ولكن الخزانات المدهونة والأدوات المصنوعة من الفولاذ لم تكن حديثة الطراز، ولكنها تدوم طويلاً، وهي كانت تتلاءم مع طراز المطبخ أكثر من الأدوات الحديثة

الطراز، ولهذا لم يكن باستطاعة جايمي تغييرها. إن إضافة بعض الأشياء قد يفيد، ولكن ميزانية جايمي لا تحتمل ذلك. فهي عليها أن تقتصر على الدهان والستائر.

سمعت قرقعة بعيدة... عند غرفة الجلوس، فقفزت بالرغم منها، لم تكن بيس التي أحدثت هذه الضجة، لأنها لو كانت في غرفة الجلوس لسمعت حركة قدوم جايمي فجاءت إليها، إذن ربما البيت نفسه قد تحرك قليلاً من موضعه.

أو ربما كان كلام تومي صحيحاً عن وجود شبح، ولكنها لم تلبث أن عنفت نفسها لهذه الأفكار، ثم ذهبت للبحث عن بيس، إذ لا بد أن تكون المرأة في مكان ما، هنا وربما ما زالت في الطابق العلوي ترتاح قليلاً بعد أحداث أمس المؤلمة.

وما أن أسرعت إلى غرفة الجلوس، حتى سمعت قعقعة أخرى وبصوت أعلى فظنت أن بيس لا بد سقطت ولم تستطع أن تصيح طالبة النجدة، فاندفعت داخلة لتقف عند العتبة جامدة في مكانها وهي تحملق في سايمون متمدداً على كنبة مستطيلة، وقد دفن وجهه عند ذراع المقعد. وإذ وقفت تنظر إليه، إذا به ينقلب حتى ليكاد يقع من الكنبة إلى الأرض، ثم أخذ يبحث بيده وكأنه يريد بطانية.

لا عجب في شعوره بالبرد، كما أخذت تفكر. فقد كان نائماً بملابسه بالطبع، إنما من دون سترة. وقد ثنى كمي قميصه إلى المرفق. كما أن الغرفة كانت قارسة البرد.

كان الجوّ أيضاً معتماً للغاية، وقد ساعد في ذلك أغصان شجرة الخيزران القديمة تغطي أكثر النوافذ.

نظرت جايمي إلى ساعة معصمها وكانت التاسعة وخمس

دقائق، لا بد أن طائرته قد شرعت في الطيران، بينما سايمون ما زال نائماً هنا.

تمتمت تقول: «حسناً، لا يمكنه الآن أن يلومني لذلك، وتقدمت نحوه: «صباح الخير يا سايمون.»

فتح عينيه على الفور، ولكنه أخذ ينظر إليها بجمود عدة لحظات، وكأنه لم يستطع تركيز أفكاره تماماً. كان شعره أشعث ووجنته التي كانت مستندة إلى ذراع الكنبة، حمراء اللون.

ثم ابتسم، وفجأة بدت لحيته النابتة في الليل بالغة الجاذبية، بينما احمرار وجنته بدا شاعرياً للغاية.

قال بصوت ينضح عذوبة: «آه، ها هي الأميرة الفاتنة تأتي لتوقظ النائم الجميل.»

فهزت جايمي رأسها: «ربما الأفضل أن تنظر في مرآة.»

«لماذا؟ إنني أفضل النظر إليك.»

ومد يده يعابثها، فابتعدت عنه.

أتراه يظن نفسه ما زال يحلم... يحلم بمن؟ بها هي؟ هذا غير محتمل، أو ربما هي عادته عند الاستيقاظ من النوم، معتبراً أي امرأة يراها، فريسة سهلة ثم ماذا تراه يظن؟ انها منجذبة إليه؟

لكنها تساءلت عما يمنعه من هذا الظن أليس صحيحاً أنها منجذبة إليه؟

قالت له: «هل أنت دوماً شاعري بهذا الشكل عندما تستيقظ من النوم؟»

فتمتم: «دائماً، ولكنني أزداد شاعرية بعد فنجان قهوة.»

«سأذهب إذن لأصنع لك فنجاناً.»

فقال ضاحكاً: «أتريدين أن تري ما سيحصل؟»

أدركت جايمي ما كانت قالته، فأجابت: «ليس هذا ما قصدته، ثم إنني كنت أظنك سترحل بالطائرة.»

«نعم، هذا صحيح.» ووجم لحظة ثم استقام في جلسته: «كم الساعة الآن؟»

«لقد غادرت الطائرة منذ خمس دقائق.»

أخذ سايمون يشتم بصوت خافت.

«لماذا لم توقظك بيس؟»

«إنها ليست هنا، إذ حيث انني مقيم هنا هذه الليلة لحراسة المكان، استغلت هي هذه الفرصة لكي تذهب إلى بيت شقيقتها.

شعرت جايمي بالارتياح بعد أن كان خوفها من أن يكون حدث لبيس شيء سيء، كان هذا الخوف يزداد مع كل دقيقة تمرّ، وقالت له: «يا للحارس الذي ستكونه. كان يمكن أن أكون في منتصف طريقي إلى كندا حاملة نفائس الأسرة قبل أن تستيقظ أنت من نومك.»

فقال وهو يتثاءب: «أية نفائس للعائلة تتحدثين عنها؟ هل كانت غريتا تخفي عني شيئاً؟»

«إنما هو مجرد تشبيه لما يمكن أن يحدث. ماذا بالنسبة لهربرت؟ ألم يكن سيوصلك بسيارته إلى المطار؟ أم أنك كنت من الاستغراق في النوم بحيث لم يستطع أن يوقظك؟»

«كنت سأتصل به مبكراً هذا الصباح، وبهذا يكون لديه وقتاً كافياً للمرور عليّ.» وعاد سايمون يتكيء على الكنبة ويغمض عينيه قائلاً: «تباً لذلك، لا بد أنها كآبة الجوّ، وإلا كنت سأقسم على أن الوقت ما هو إلا بعد الفجر مباشرة.»

«الجوّ في غاية السوء دون شك.» جلست جايمي وهي تنظر إليه بطرف عينها شاكرة أنه لم يلاحظ، كما يبدو، تهافتها عليه. ولا بد أن النوم ما زال مسيطراً عليه رغم ابتساماته...

حدثت نفسها بأنها حمقاء حقاً إذ تراه جذاباً بينما هي تعرف نفسيته جيداً، وتمطى سايمون وهو يتنهد وكأن كل عضلة في جسمه تؤلمه. وسألته: «لماذا لم تصعد، على الأقل إلى الطابق العلوي لتنام؟»

«لم أكن أنوي النوم. لقد جلست فقط لأمضي... دقيقة أدون في القائمة...»

«والآن، إياك أن تبدأ بإلقاء اللوم عليّ فقد سبق وأخبرتك أن ليس ثمة داع للعجلة بالنسبة إلى تلك القائمة.»

«آه، وكيف المفروض أن أنجزها؟ من الذاكرة أثناء وجودي في الطائرة؟ أم أن لديك قائمة اخترعتها جاهزة لي لآخذها معي؟»

«كلا بالطبع، إنني فقط...» وسكتت، لقد كانت تفترض أنه سيعود فيما بعد لإنجازها، ولكن يبدو أنه لا ينوي ذلك. وتنهدت، إن ذلك سيجعل عملها أكثر صعوبة إذا ما كانت مضطرة للذهاب إلى سايمون في أتلانتا لاستشارته بالنسبة إلى كل قرار تتخذه.

قال: «على كل حال، لقد جلست لأريح عيني لمدة دقيقة فقط، وها أنذا كما ترينني الآن.»

فقالت متأملة: «لا بد أنها مسألة نفسية، إذ أنك بعد أن أمضيت عدة ساعات في مدينة سمرسيت، لا تريد في أعماقك، أن تتركها.»

«هل تعنين أن هذه المدينة قد جذبتني؟ أشك في ذلك.» واستقام جالساً مادّاً ذراعه على مسند الكنبة خلفها ما جعله يكاد يلتصق بها، فوقفت مبتعدة عنه وهي تنظر إليه بحذر.

تثاءب ثم قال: «لقد أمضيت اسبوعين شاقين ما جعلني مرهقاً للغاية.»

نظرت حولها تبحث عن شيء آخر تجلس عليه، ولكنها لم تجد. ولكن وقوفها يعني أنها تريد الابتعاد عنه، وسألته: «هل هنالك ساعات عمل إضافية كثيرة في مطعم البيتزا عندكم؟»

«بإمكانك أن تقولي ذلك.»

«حسناً، وماذا ستفعل الآن بعد أن فاتتك الطائرة؟»

«أتناول فنجان قهوة، وآخذ دوش ثم أرتدي قميصاً نظيفاً.»

فقالت بسرعة: «سأصنع أنا القهوة.» ورأت نظرة سريعة ساخرة في عينيه، فأدركت أنه كان مستيقظاً طوال الوقت. وتوهج وجهها عندما قال: «أما بالنسبة لاستحمامي وارتداء قميصي فعليك أن تبقي بعيدة عني.»

تبعها إلى المطبخ حيث تناول كيساً من على المنضدة وهو يقول: «كنت أعني فقط أنني لا أريدك أن تشعري أن من الضروري أن تنتظريني أمام باب الحمام لتتلقي طلباتي.»

وقفت جايمي لحظة لا تصدق ما يقول، ولكنها وجدت من الأفضل أن تتابع عملها في صنع القهوة. ونظرت إلى الكيس الذي في يده. كان مكتوباً عليه اسم متجر لملابس الرجال في المدينة، وكان القميص الذي أخرجه ما يزال جديداً. فسألته: «ألم تحضر معك حتى ما ترتديه أثناء غياب ليلة؟»

«كلا بالطبع. فأنا لم أكن أنوي قضاء ليلة هنا.»

هزت رأسها غير مصدقة: «إن طائرة بعد الظهر لا تصل إلى مدينة سانت لويس قبل الخامسة... فإذا افترضنا أن بإمكانك اللحاق...»

قاطعها قائلاً: «لا تذكّريني... فأنا لا يمكن أن أكون هناك قبل منتصف الليل.»

قالت وهي تناوله فنجان القهوة: «ومن ناحية أخرى، قد تحصل لك فرصة...»

«وهل أنت ذاهبة بالسيارة إلى سانت لويس اليوم؟»

«كلا، ولكن صديقتي هولي ستذهب، فقد كانت ذكرت ذلك أثناء اجتماع الليلة الماضية، فهي ستأخذ أحد أطفالها إلى اختصاصي أطفال، ولكن عليّ أن أحذرك فالطفل قد يزعجك جداً.»

«لا يمكن أن يكون أسوأ من بعض الأطفال الذين يأتون إلى محل البيتزا.» تابع وهو يناولها الهاتف: «أخرجيني من سمرسيت هذا الصباح أكون شاكراً لك إلى الأبد، يا جايمي.»

كانت متفهمة لنفاد صبره، بالطبع، ولكنها ما زالت تشعر بشيء من الفتور والامتعاض من اللهفة هذه في صوته، قالت وهي تدير الرقم: «وما الذي يجعل سمرسيت سيئة في نظرك، على كل حال؟»

قبل أن يتمكن من الاجابة، كانت هولي قد رفعت السماعة. استمعت بصبر إلى شرح جايمي للأمر، ثم قالت بعذوبة: «يسرني أن أقدم المساعدة في ذلك يا عزيزتي. ولكنني أنصحك بألا تخبري أحداً بهذه القصة.»

«ولماذا؟»

«لأنهم قد لا يصدقون أن سايمون قد تأخر في النوم دون سبب. فكل شخص كان في المقبرة أمس قد رأى الشرر يتطاير بينكما.»

«صدقيني ان ذلك الشرر لم يكن من النوع الذي تعنينه.»

فضحكت هولي قائلة إنها ستمر بمنزل تشادويك خلال ساعة لتأخذ سايمون.

وضعت جايمي السماعة شاعرة بشيء من الغيظ من نفسها.

قالت لسايمون: «إن أمامك ساعة قبل أن تأتي هولي، هل تريد تناول الافطار؟» وأخذت تبحث في أنحاء الثلاجة: «هنا كعك صنعته بيس على الأرجح. ولن يستغرق تسخينه وقتاً طويلاً.»

فقال بحزم: «لا أريد أن أعطلك عن عملك.» واتجه نحو السلم دون أن ينتظر جواباً.

مضت نصف ساعة قبل أن يعود، وفي هذه الأثناء كانت رائحة الكعك الساخن تملأ الجوّ، فوقف عند العتبة يستنشق برغبة. وشعرت هي لرؤيته بنوع من الإلفة، ولكنها حدثت نفسها بسرعة بأن لا تكون حمقاء، نعم، هذا الرجل حسن المظهر، وهو يعجب أي امرأة ذات ميول طبيعية... وهذا لا يعني أن ما تشعر به نحوه هو أمر غير عادي.

إنه يبدو، في الواقع، بالغ الوسامة ولكنها لا تريد ايقاظ غروره بقولها هذا له.

سألته: «هل ستعود بيس هذا الأسبوع؟»

«لا أظن ذلك. فهمت أنها لن تعود إلى هنا قبل أن ينتهي كل شيء، ما الذي تفعلينه؟»

«إنني أخرج كل الطعام من الخزائن، كنت أنوي أن أقول

لبيس بأن تأخذ ما تريده إلى منزل أختها، ولكن إذا كانت لن تعود الآن، أظن سأمنح كل ذلك إلى مخزن الأطعمة المحلي للمحتاجين، إن غريتا كانت تختزن كثيراً من الأطعمة حتى كاد أن يكون لديها مخزن أطعمة لها خاصة.»

«ولكن لماذا تخرجينه؟ إن مثل هذا الطعام لا يفسده التخزين، أليس كذلك؟»

قطع لها جزءاً من الكعكة ناولها إياها وهو يتابع: «ولا أظن أحداً من الزائرين سيفتح الأبواب ويسرقه، صدقيني.»

«أرجو أن لا يحدث هذا، ولكن عليّ أن أفرغ الخزائن لكي أحف الدهان القديم عنها لدهنها من جديد. إن العمال سيبدأون في الدهان الأسبوع القادم.»

توقف سايمون عن الأكل وكأنه قد نسي.

عرفت ما يجول بخاطره فقالت بعذوبة: «كنت فكرت في دهنها بلون قرمزي لامع، ولكنني عدت فقررت أن لون القشدة مع خطوط حمراء هو أفضل.»

«أتصوره رائعاً.»

«أحقاً؟»

«كل ما عليّ أن أفعل هو أن أحضر شخصاً ليحكم على صلاحية هذا، وبذلك تكونين أنت المنفذة السابقة للوصية.»

«سأفكر في ذلك.»

قال بمودة: «افعلي. والآن أي لون ستستعملينه حقاً؟»

«أزرق ورمادي. إنه طبيعي ودافىء تماماً.»

هز رأسه قائلاً: «لا أظن هذا سينفع، وفي الواقع لا أظن أيّ شيء آخر سينفع هذا المطبخ إلا البولدوزر، ولكن يسرّني أن أرى العيّنات.»

«إذا كنت تظن أنني سأطلب منك الموافقة على اختياري...»

«إن صفتي الآن هي زبون، أليس كذلك؟ فلماذا لا تداريني إذن؟»

«إنني لن أرسل العيّنات إليك في أتلانتا بالبريد يا سايمون.»

ابتسم وقال متأملاً: «أتعلمين ان عملك عندي هو شيء سار في الواقع.»

وقبل أن تجيب، قرعت هولي الباب الخلفي ثم قالت عندما فتح سايمون لها الباب: «إن طريق المنزل بحاجة إلى توسيع.»

فقالت جايمي: «يجب أن لا تقولي ذلك بصوت عالٍ إلى أن يشتري أحد البيت. فقد يثنيهم ذلك عن الشراء.»

قالت هولي بجفاء: «إذا كانوا يسوقون أي شيء أكبر من عربة الأطفال، فهم ليسوا بحاجة إلى أن يقول لهم أحد ذلك، ولكنني سأحاول الاحتفاظ برأيي لنفسي، البيت للبيع إذن؟»

أجابت جايمي: «ليس قبل أن ينتهي العرض. كان عليّ أن أعرفك إلى...»

فقالت هولي ببشاشة: «آه، لا تقلقي لهذا. فسنصبح أحسن صديقين ونحن في طريقنا إلى سانت لويس، هل أنت جاهز يا سايمون؟»

«سأحضر معطفي.» وعندما عاد إلى المطبخ تقدم مباشرة إلى جايمي وضع يديه الاثنتين على كتفيها ونظر في عينيها وقال: «لقد تركت القائمة التي أنجزتها، على مكتب غريتا.»

«سأراجعها الآن، وأضع الأشياء جانباً.»

فقال: «سأنتظر منك العينات.» كان صوته من الرقة واللطف بحيث بدا وكأنه يتحدث عن الحب وليس عن عيّنات الدهان.

رأت جايمي حاجبي هولي يرتفعان، فقالت من بين أسنانها: «دعني.»

فابتسم وتوجه نحو الباب.

بعد دقائق سمعت هدير المحرك، وسيارة هولي تتراجع في الطريق الضيق.

كانت جايمي واقفة عند نافذة المطبخ تراقبهما محدثة نفسها بأنها انما تتأكد من رحيله. أما بالنسبة إلى شعور الكآبة الذي تملكها، فما هو إلا بسبب المسؤولية الثقيلة التي تحملها، فمن المؤكد أن ذلك الشعور لم يكن ولا يمكن أن يكون، بسبب خيبة الأمل التي تملكتها لأن سايمون لم يقل إنه سيعود.

* * *

كان بعيداً عن التصديق مبلغ العمل الذي يمكن إنجازه في غضون عشرة أيام قصيرة، كانت جايمي تفكر في ذلك وهي تصعد الدرجات الخلفية إلى منزل تشادويك ثم تتوجه إلى المطبخ، كانت أبواب الخزائن قد حُفت بورق الزجاج، وكذلك الدهان القديم، ووضع بدلاً منه الطبقة الأولى رمادية اللون، ولم يبق سوى الدهان النهائي في انتظار العمال لوضعه.

كانت جايمي تراه رائعاً، ومبشراً بالخير وطبعاً سيصاب سايمون بالسكتة، غالباً. ذلك أن العين غير الخبيرة ترى المكان ينحدر من سيء لأسوأ.

وتساءلت عما إذا كان قد لاحظ أن البريد لم يحمل إليه أياً من عيّنات الدهان، وربما لم يلاحظ ولا شك أنه قد نسي كل شيء عن هذه الأمور التافهة. وتمنت جايمي لو باستطاعتها ذلك هي أيضاً. فطوال الأسبوع، كلما نظرت إلى قطعة قماش، وجدت نفسها تتساءل عن رأي سايمون فيها.

* * *

فتحت الثلاجة لتضع علبة لبن رائب، وإذا بها تجد الثلاجة مغطاة برقع من الورق تحوي أسئلة وملاحظات وشكاوى وجداول... ورأت أن شخصاً ما قد تخلى عن البحث عن أمكنة أخرى لذلك، فوضع رقعة ورق على المنضدة.

وضعت معطفها على الكرسي ثم ابتدأت التجول المعتاد للمنزل، كانت تريد أن ترى ما أنجز من العمل منذ أمس، وبعد ذلك ستبدأ في نزع ورق الجدران القديم من غرفة الضيوف في الطابق العلوي.

كانت غرفة الجلوس الآن قد دهنت باللون الأزرق الفاتح، ولكن على أحد الجدران، وهو الذي خلف الباب، كانت مسحة فضية اللون قد وُضعت على بقعة صغيرة تهدىء من قوة اللون ذاك. كانت تلك طريقة قديمة بطراز عصري وكان ملائماً للمنزل بشكل مدهش.

لم يكد العمل يبدأ في غرفة الطعام، ولكن ورق الجدران كان قد وصل أمس، وهكذا كان على جايمي أن تجد المصمم بسرعة ثم ترى ما عليها أن تنقله من الغرفة قبل أن تبدأ العمل فيها.

حملقت بعينيها غير مصدقة وهي ترى خزائن الفضيات،

كانت الرفوف خالية والأبواب مفتوحة، وكانت المحتويات مكومة كيفما اتفق على المنضدة وعلى زاوية منها كانت الأواني الزجاجية التي كانت غريتا جمعتها بكل بهجة، كانت مكدسة تترنح فوق بعضها البعض بارتفاع قدمين، وفي الوسط كان شمعدان من البلور يترنح على حامل زجاجي موشكاً على السقوط على صف من أقداح الماء.

لو أن أحداً دخل الغرفة مسرعاً واصطدم بزاوية المنضدة، فستبدو غرفة الطعام وكأنما أصيبت بزلزال، وقد تناثر في أنحائها حطام كل ما أمضت غريتا حياتها في جمعه وحفظته بكل حب واعتزاز.

أمسكت جايمي بالشمعدان ووضعته في مكان آمن. ما أكثر العمل الذي قررت القيام به هذه الليلة. ما الذي جعل الدهّان يخرج كل هذه الأشياء دون تنبيه؟

ذهبت إلى الردهة لتحضر جرائد وعدة صناديق كرتونية ثم أحضرت دفتراً من المكتبة. لم تزعج نفسها بالنظر في درج المكتب حيث وضعت ملاحظات سايمون وكانت هذه قصيرة موضوعية، ولم يكن فيها ذكر للأواني الزجاجية. كان عليها أن تسجل كل قطعة تضعها في الصندوق وهذا يمكنها من أن تعطيه وصفاً له لتعرف إن كان يريد أن تباع القطعة وتشحن إلى أتلانتا، وكلما قرر شيئاً سيكون عليها أن تعود إلى فرز كل شيء من جديد.

تمتمت: «كنت أظن أن كوني مسؤولة عن واجهة العرض هو عمل حسن. لو كنت أعلم ما سأواجهه عندما وافقت على قبول وصية غريتا، لما...»

دخلت هولي تقول: «ما الذي تفعلينه؟ ظننت اننا سنقوم

بنزع ورق الجدران القديم هذه الليلة، لقد كانت غلوريا أخبرتني بأنها لن تبدأ العمل قبل عطلة الأسبوع القادمة. والآن أدخل فأرى هذه الفوضى.»

«المفروض أن تفرز في وقت ما، وقد كنت أرجو أن أسأل سايمون عما يريده قبل أن أوضب كل هذه الأشياء.»

«ولماذا لا تتصلين به الآن؟»

«لقد حاولت ذلك من قبل، وكل ما حصلت عليه هو امرأة حلوة الصوت...»

«شابة؟ عجوز؟»

«أن لي أن أعلم؟ كل ما قالته، وبأدب، هو أنها ستسلم الرسالة إلى سايمون وستتصل بي بعد يوم أو يومين لتخبرني بما عليّ أن أفعل. إنما الآن ليس لديّ يوم أو يومين، فهذه الأشياء يجب أن توضب في الصناديق وترفع الليلة. هل لك أن تحضري لي صندوقين آخرين فارغين من الردهة؟»

ذهبت هولي، بينما أخذت جايمي تنزل الأوعية الزجاجية عن بعضها البعض، ولم ترفع بصرها حين سمعت وقع الأقدام مرة أخرى، فقالت: «شكراً يا هولي. إذا أنت لففت هذه الأواني الزجاجية الهشة سيمكننا التخلص منها بسرعة، ومن ثم نبدأ...»

«ماذا تعنين بكلماتك يمكننا التخلص منها يا جايمي؟»

استدارت جايمي على عقبيها فانزلق قالب الكعك من بين يديها.

اندفع سايمون يمسك به، بينما وقفت هي جامدة لا تستطيع حراكاً.

ماذا حدث لها، على كل حال؟ منذ دقائق فقط كانت تشكو من الخيبة التي تتملكها للتعامل معه من بلد إلى بلد آخر يبعد عنه نصف مساحة البلاد. وها هو ذا الآن مرة أخرى، وأول ما تمنته هو أن يعود أدراجه إلى أتلانتا.

ولكن كان عليها أن تعترف بحسن مظهره، حتى انه كان أفضل مما رأته عليه آخر مرة، كان هذا أكيداً، حتى انه بدا لها أطول قامة وأكثر ضموراً في البنطلون والكنزة والسترة الجلدية. كان يحدق إليها عن قرب، وكانت في عينيه نظرة ساخرة: «ماذا كنت تقولين يا جايمي؟»

فابتلعت ريقها بصعوبة: «أريد أن أضع كل هذا في المخزن... فقط إلى أن تعلمني بما تريد أن تحتفظ به منها.»

«فهمت. من حسن الحظ إذن أن عدت على كل حال.» ابتسم وهو يضيف: «ومن حسن الحظ أيضاً أنني جئت للبقاء هنا هذه المرة.»

الفصل الرابع

فقالت بضعف: «للبقاء؟ إلى متى؟»

قال ساخراً: «هل معنى هذا انك غير مسرورة بصحبتي لفترة طويلة؟»

دخلت هولي حاملة صناديق كرتونية: «حسناً، أهذا أنت؟ ما الذي أعادك إلى المدينة يا سايمون؟»

فقال بمرح: «الخوف الهائل.»

شعرت جايمي برغبة في ضربه وهي ترى انه مازال يخاف من ان تغشه رغم كل ما فعلته، وضحكت هولي قائلة: «اظنك خائف من جايمي طبعاً، فهي من نوع مخيف جداً.»

«إن الرعب يتملكني لما سوف تفعله. انني لم أر منها شيئاً بعد.»

قالت جايمي: «إذا جعلتك تحس بكل هذا، فهل تذهب من هنا؟»

ولكنها في اعماقها كانت تعلم انها كاذبة وانها لا تريده ان يذهب، وهي مسرورة لرؤيته.

وتابعت تقول: «أما بالنسبة إلى صحبتك، فيمكننا ان نباشر العمل الآن. ويمكنك أن تبدأ ذلك بالنظر إلى كل هذا وفرز كل ما تريد الاحتفاظ به وما لا تريد، ثم تأخذه معك عند ذهابك.» ثم استدارت على عقبيها وتوجهت إلى غرفة الضيوف في الطابق العلوي وأغلقت خلفها الباب، لقد كانت تريد ان تصفقه، ولكن موجة الإرتجاج التي كانت ستتجاوب

www.elromancia.com

في أنحاء المنزل كانت تكفي لكي تسبب تحطم اكداس الأواني الزجاجية، عند ذلك كل ما سيكون علي سايمون ان يفعل هو ان يكنس الحطام، وإذا لم يكن مشغولاً فمن يعلم ما الذي سيفعله بعد ذلك؟

انضمت هولي إليها بعد ذلك بدقائق، ففتحت الباب بحذر وكأنها تتوقع ضربة على رأسها.

كانت جايمي واقفة على سلم متحرك، حاملة نفاثة البخار توجهها نحو الجدار، وقالت: «لا بد انه يوجد عشر طبقات من الورق على الجدار وبالتالي نفاثة البخار هذه لن تفيد بشيء.»

«دعيني انظر اليها.»

فناولتها الجهاز، ثم اخذت مكشطة وابتدأت تسلخ بها ورق الجدران، مخدشة ثقباً بارزاً في نقوش الأزهار، وهي تقول: «هل رأيت ما أعني؟ انها حتى لم تبلل أول طبقة تماماً.»

«ذلك لأن منافذ النفاثة مسدودة بمعجون.»

جلست هولي في وسط الغرفة على الأرض ثم أخذت تفتح المنافذ المفروض فيها نفث البخار على الورق. «سيمضي بعض الوقت قبل ان انجح في جعل هذه تعمل من جديد.»

نزلت جايمي عن السلم، وملأت دلواً احضرته من الحمام، ثم أخذت تلقي ماء حاراً مباشرة على ورق الجدران.

قالت هولي وهي تنظر مباشرة نحو نفاثة البخار: «كنت تتحدثين مع سايمون بجفاء واقتضاب.»

«على الأقل لم اكن فظة وسيئة الأدب.»

وضعت جايمي الدلو على الأرض ثم عادت تلتقط الكاشطة وهي تتابع قائلة: «ان الرجل من الوقاحة بحيث يقول انه يعيش في حالة رعب مني، ما الذي يظنني سأفعل،

على كل حال؟ كل ما يمكنني قوله هو ان المالك الجديد لهذا المنزل سيقدر كل تعبي هذا.»

«هل جاءك أي عرض لشراء المنزل؟»

«كلا، فأنا لم اسجله للبيع بعد.»

هزت هولي كتفيها: «أعلم ذلك، ولكن هناك دوماً أقاويل الناس في المدينة، كما ان هذا منزل فخم، وانا أبقى مستيقظة دوماً أثناء الليل مفكرة فيه.»

فضحكت جايمي: «هل انت واثقة من انك تكونين مستيقظة، ربما تكونين في كابوس.»

«كلا، اعني... آه، فلندع ذلك.»

توقفت جايمي عن الكشط واستدارت إليها: «أتريدين ان تقولي ان المنزل يعجبك حقاً، يا هولي؟»

«لا أدري، ربما الحق معك وأنا منشغلة البال فقط بسبب مشروع المعرض هذا إلى ان زوجي سيقتلني إذا انا اخبرته برغبتي في الانتقال من المنزل مرة أخرى.» وحملت نفاثة البخار قائلة: «خذي هذه وجربيها الآن.»

بعد ذلك بساعة، كانتا غارقتين إلى الكاحل بمزق أوراق الجدار المبتلة عندما أطل روب برأسه من الباب ينظر إلى كل هذا وهو يقول: «جايمي، إذا كنت لا تريدين مني ان انقل شيئاً آخر، فأنا ذاهب إلى البيت.»

«أدخل لحظة وسأرفع هذه القمامة لكي تحملها معك.»

دخل روب كارهاً السير في كل هذه الفوضى ثم التقط كيس قمامة وأمسك به مفتوحاً لكي تملأه جايمي، وهو يقول: «بالمناسبة، لقد اعجبني سايمون.»

«هل كنت تتحدث معه بدلاً من ان تعمل؟»

«كلا طبعاً. وإنما كنت أساعده في تعبئة أوانيك الزجاجية في الصناديق.»

«أوانيّ الزجاجية؟ وتوقفت جايمي عن رفع القمامة وأخذت تحملق فيه: «هل هذا ما قاله؟»

فهز كتفيه: «ليس هكذا بالضبط، كما اظن، بل تحدث عن شيء قلت انت له ان يفعله، لقد قلت له ان لا يزعج نفسه بذلك لأن لديك على الدوام، ميلاً إلى إعطاء وإلقاء الأوامر.»

«اشكرك كثيراً يا روب.» ربطت الكيس وسلمته إليه، ضع هذا في الخارج خلف المنزل، وسأراك غداً بعد خروجك من المدرسة.»

بعد ذلك بقليل ذهبت هولي إلى بيتها، ولكن جايمي وهي تتذكر ضيق الوقت وكم من العمل مازال هناك، بقيت مستمرة في الكشط، وكان البخار المتصاعد يحملها على النعاس ما افتقدت معه بشاشة هولي وحديثها المسلي.

بعد فترة وضعت النفاثة، ثم تجمعت على زاوية أريكة هناك وهي القطعة الوحيدة من الأثاث التي مازالت في الغرفة، وكانت مغطاة بغطاء من البلاستيك.

لم يكن الباب مقفلاً، ولم تسمعه وهو يفتح إلى أن سمعت سايمون يقول ببشاشة: «ظننت الجميع خرجوا وتركوا الأنوار مضاءة، اتعرفين كم الساعة الآن؟»

فالتفتت إليه: «حوالي العاشرة كما أظن... لماذا؟»

«انها الدقيقة الخامسة عشرة بعد منتصف الليل.»

«أحقاً؟ ما أسرع مرور الوقت عندما تكون مسروراً.»

فجلس بجانبها وفتح علبة عصير كان يحملها: «أتريدين هذه؟ يمكنني احضار أخرى.»

«رشفة واحدة، اظن هناك كوباً في الحمام.»

فعاد بكوب ورقي وملأه لها وهو يسألها: «لماذا تكشطين ورق الجدران؟»

«لأنك إذا ألصقت الورق الجديد على الورق القديم لا يلبث الغراء القديم ان يتساقط فيسقط كل شيء معه.»

نظر سايمون إلى الجدار نصف المكشوط وفتائل الورق المبتل المتناثر على الأرض، ثم قال: «لا يبدو ان من المحتمل ان يتساقط هذا الورق. فهو يبدو وكأنه ملتصق إلى الأبد.»

«المواد اللاصقة، هذه الأيام، تتفاعل مع الورق القديم بشكل غير متوقع.»

«آه، حسناً، على كل حال ليس هذا ما عنيته بالضبط، وإنما لماذا تفعلين انت ذلك بالذات؟»

تنهدت جايمي: «لأن مشاريع المعارض تكلف غالياً من كل النواحي، فإذا قمت انا بالعمل بنفسي، فأنا أوفر نقودي بهذا لكي أدفع أجر العمال على الأقل.»

وهذا يفسر وجود اخيك الأصغر، كما اظن، إنه فتى ظريف.»

«لا تظن تطوعه ذاك تفضلاً منه، انك لا تصدق المبلغ الذي دفعته له الأسبوع الماضي من أجل إصلاح سيارته. فإن توفير ذلك المبلغ كان سيأخذ منه شهوراً.»

نظرت إلى علبة عصير الليمون في يده: «من فضلك، إذا لم يكن لديك مانع...»

فقاطعها: «أترين علبة عصير الليمون؟»

«نعم، ثم هل لك أن تحضر لي معك علبة اللبن الرائب وكيس البطاطا؟»

غاب دقيقتين ثم عاد بصينية صغيرة وهو يقول: «بالمناسبة، إذا كان ذلك هو اللون النهائي لخزائن المطبخ، يا جايمي، فكفّي عن التباهي بانك تقومين بتحسين المنزل.»

«كلا، انه فقط أول طبقة من الدهان.»

فقطب جبينه: «ظننتك قلت انك ستنتهين من ذلك الليلة.»

لم تتذكر جايمي ذلك، وقالت: «انك تعرف المقاولين، وربما لا تعرف وهذا من حسن حظك.»

«انك تحيرينني، ألا تقومين بالدهان بنفسك؟»

«قد افعل ذلك، ولكن ذلك يحتاج إلى نوع خاص من الدهان الرشاش و...»

«دهان رشاش؟»

«نم، وهي معدات خاصة لمثل هذا العمل.» لم يبد الاقتناع على سايمون. «ان المكان يبدو وكأنه الناحية السفلى من جسر.»

«أتعني الكتابة على سطح المنضدة؟»

«وماذا بعد ذلك؟»

«لماذا كل هذا القلق، يا سايمون؟ سيبدو المنزل بشكل حسن، حتى ولو لم يكن ذلك، فإن بإمكانك تحمل خسارة طفيفة كما اعتقد، ولكنني قد أخسر سمعتي. وهذا شيء هام بالنسبة لعملي حيث الانطباع الذهني عن الشخص هو كل شيء.»

أنهت اللبن وألقت بالعلبة في كيس القمامة بجانبها، ثم سألته: «هل تريد كيس البطاطا؟»

«بالتأكيد.» جلس على حافة الأريكة: «ما هو المبلغ الذي تكونين قد أنفقته في هذا المشروع عندما ينتهي؟»

اومأت برأسها: «لا أريد ان افكر كم تجاوزت ميزانيتي، وسأضيف الأرقام بعد ان انتهي، مذكرة نفسي بأني سأستعيد ذلك كله في النهاية في مجال الدعاية لنفسي.» ونهضت عن الأريكة ومدت يدها تتناول نفاثة البخار. قد تكسب شيئاً كذلك من وراء هذا العمل.

سألته: «أين تقيم يا سايمون؟»

«هنا.»

«ماذا تعني بقولك (هنا)؟ لا يوجد هنا مكان لك.»

«نعم، لقد لاحظت ذلك. حتى الكنبة قد ذهبت، هل فعلت ذلك عن قصد؟»

«كلا بالطبع، وإنما أرسلت للتنجيد.»

فتمتم يقول: «وتجديد القماش كم أرجو.»

«هناك فندق في المدينة، انه ليس فخماً، ولكنه ليس غالياً أيضاً.»

ففكر سايمون قليلاً، ثم هز رأسه: «كلا، اظن الأفضل ان أبقى هنا قريباً من العمل، هل ستقومين بجولة في غرفة البرج؟»

فقالت كارهة: «كلا، ولكن هذا لا يعني...»

«سألقي فقط بكيس نوم على الأرض، انظري إلى الناحية الإيجابية من الأمر يا جايمي، إنني هناك سأكون منحازاً عن طريق كل شخص، وفي نفس الوقت سيكون لديك حارس ليلي.»

فتمتمت: «حارس؟ ان نومك الثقيل يمكّن أي شخص من أن يسرق كل ما في الطابق الأسفل من دون ان تشعر.»

فقال محتجاً: «هذا ليس عدلاً، لقد كنت شرحت لك أنني

كنت في تلك الليلة مرهقاً جداً، فالتأخر في النوم ليس من عادتي.»

«اسمع يا سايمون...» وتلاقت اعينهما فسكتت وهي ترى في عينيه اهتماماً من نوع آخر لا صلة له بالموضوع. لم يكن مهتماً بجوابها مطلقاً كما رأت. في الواقع كان في عينيه شيء من الهزل... وكأنه كان يتوقع منها ان تلقي به خارجاً، ومستعداً لذلك عالماً انه هو الرابح في النهاية.

قانونياً حتى ولو كان هو الوارث، فليس في إمكانه أن يمتلك المنزل كلياً حتى يستقر أمر بقية الأملاك، وبما أن سايمون قد اعلن رغبته في بيعه، فهي لا ترى له أي حق شرعي في الانتقال إليه.

ولكن من الناحية العملية، ليس في امكانها أن تطرده، فإلى أن ينتهي البيع، يبقى البيت جزءاً من ميراثه، وفي مدينة مثل سمرسيت، حيث اكثر الأعمال تقام بالمصافحة والتفاهم الشفهي، وحيث التفاصيل القانونية ينظر اليها بارتياب، فإن جايمي ستبدو حمقاء حقاً إذا هي حاولت أن تخرج سايمون من المنزل.

وهكذا اقتصرت على التحذير: «غرفة البرج باردة جداً، ولن تكون مرتاحاً أبداً فيها.»

«سأبقي الباب مفتوحاً أسفل السلم.»

«مع حركة الشارع التي تصل إلى المنزل يومياً، لن تتمتع بإجازة مريحة، وبعض المقاولين يبدأون العمل في السادسة صباحاً.»

فأومأ قائلاً: «والآن، ستذكّرينني دون شك بأن غريتا ستخرج من قبرها لمدة من الزمن.»

«وهذا بالضبط سبب الضجيج والغبار والإضطراب والضيق، لقد كان عليها ان تحضر إلى هنا يومياً لترى سير العمل، ولكنها ما كانت سترتاح لو انها حاولت السكن هنا، فإذا لم يستطع المرء أن ينام جيداً أثناء الليل...»

فقال ببراءة: «انني اعرف ان ذلك قد يكون مشكلة، وإذا كنت تقدمين إليّ نفس المعاملة التي كنت ستقدمينها إلى غريتا...»

قالت بصوت عال: «أتعني ان تنتقل إلى بيتي؟»

«يا لها من فكرة جميلة! انني شاكر جداً لك تفكيرك هذا في راحتي وسعادتي و...»

تضرج وجه جايمي وأجابت: «طبعاً أنا لا أعرض عليك الانتقال إلى بيتي.»

فقال بضعف: «هذا ما خيّل إليّ، وهكذا سأبقى هنا متصوراً أنني انام في خيمة، ليس لديك مانع، بكل تأكيد، وحيث ان املاك غريتا تدفع النفقات حالياً...»

«هذا في الواقع غير صحيح. ان الذي يدفع هي شركة الخدمات المتحدة. ولكن الأمر لك طبعاً إذا أحببت ان تمثل دور الحارس الليلي لفترة ما... ثم لماذا انت هنا، على كل حال؟ منذ أسبوعين كان محل البيتزا يشغلك بحيث لم تكن تستطيع الغياب عنه ليلة واحدة.»

«لقد بيع المحل ولم يعودوا بحاجة إليّ، وهكذا انا عاطل عن العمل حالياً.»

قالت له: «هنالك رائحة مريبة تفوح منك، يا سايمون.»

«انها رائحة محلول بعد الحلاقة دون شك.»

«انا لا أعنيك شخصياً وإنما أعني القصة التي ترويها.»

أشاحت عنه بوجهها مستسلمة، فترك سايمون العمل ليس من شأنها، وقالت: «اظنك تحب ان تبدأ بسحب نقود من الأملاك؟ سأحاول جهدي في هذا الشأن، ولكن ليس هناك الكثير من المال في حساب غريتا في المصرف، ويبدو انها سحبت كل شيء لكي تؤمن دفع تعويض بيس.»

«آه، يمكنني الإنفاق على نفسي لفترة قصيرة.»

«حسناً، انني آسفة لحالتك هذه.»

«هل انت آسفة حقاً؟ ولكنني أنا لست كذلك، فقد كنت أشعر باللهفة البالغة لكي أعرف ما تقومين به.»

فقدت جايمي اعصابها: «لا يمكن ان تكون جاداً بالنسبة لعيّنات الدهان، أليس كذلك؟ اسمع يا سايمون، ليس هناك ما يمكنني عمله لإعلامك بما يحدث اكثر من هذا لقد كنت اتصل بك لابلاغك بأتفه التفاصيل.»

«أعلم ذلك، وهذا ما ملأني لهفة، فإذا لم يكن لديك ما تعمليه افضل من إزعاجي كلما أردت ان تلقي في القمامة زجاجاً مكسوراً، فهو يجعلني أتساءل عما إذا كان ثمة شيء هام يحصل هنا، وبصراحة بعد ان رأيت الآن هذا المكان...»

«لا بأس، مازال عليك إذن ان تستعمل شيئاً من الخيال، فالمكان سيبدو رائعاً خلال أسبوعين.» واطفأت نفاثة البخار وهي تتساءل كم سيأخذ من الوقت لكي يبرد، فليس بإمكانها الذهاب إلى بيتها قبل ان تنظفه، ولو كان لديها عقل، لخرجت ساعة خروج هولي، وجنبت نفسها هذه المناقشة، شعرت بألم في جبينها، فأجفلت وأخذت تدعكه، فسألها: «ماذا يزعجك؟»

«إنه نوع من الصداع فقط، هذا غير مهم.»

فقال آمراً: «تعالي واجلسي.» جذبها يجلسها بجانبه على الأريكة وهو يتابع قائلاً: «استندي إلى الخلف واسترخي، هل لديك فكرة عن عدد ما في يدك من عضلات؟ فإذا انت أبقيتها في وضع واحد ساعات عديدة، فلا عجب ان تصابي بصداع.»

أغمضت عينيها شاعرة بالإرتياح، لم تكن فكرت قط من قبل في يدها إلا بصفتها شيئاً ملحقاً بجسمها، وسألته بوهن: «كم عضلة قلت انها موجودة في يدي؟»

فقال بشبه ابتسامة: «ليس لديّ أقل فكرة عن ذلك.»

فتحت عينيها: «ولكنك قلت... آه، نعم كنت تمزح فقط، على كل حال لقد أصبح الوقت متأخراً ويجب ان اذهب إلى بيتي.»

سكت لحظة طويلة تمتم بعدها: «ربما معك حق... إذهبي يا جايمي، فأنا أكره ان افكر في انك لن تحترميني عند الصباح.»

• • •

لم تعد جايمي إلى منزل تشادويك قبل ظهر اليوم التالي، كانت الغرف هادئة حيث ان العمال كانوا ذهبوا جميعاً لتناول الغداء، أما سايمون فلم تر له أثراً هو أيضاً، ولكن الفوضى التي كانت سائدة في غرفة الجلوس قد استحالت إلى اثني عشر صندوقاً. نظرت داخل صندوقين منها، فقد كانت تريد أن تعرف ذوقه رغم انها لم تعترف بذلك، بل حدثت نفسها بأن ذلك اهتمام معقول، لأنها إذا فهمت نوع ما يهتم به، لما كان بها حاجة إلى استشارته في كل قرار تتخذه.

بالرغم مما قاله الليلة الماضية عن بقائه في سمرسيت فترة لم تظن أن من المحتمل أن يبقى طويلاً، إذ لا يبدو ان

لديه ما يكفي من نقود، وإلا لاستأجر غرفة في الفندق بدلاً من النوم في حجرة البرج، كما أنه لن يتمكن من الحصول على مال كثير من أملاك غريتا إلا بعد انقضاء فترة إذ ليس بإمكانها أن تعطيه شيئاً غير موجود، وفكرت جايمي في أن عليها أن تسرع في العمل وتنتهي من أمر المنزل، ولكنها بالطبع لم تكن تريد أن تعرض المنزل للبيع بهذا الشكل، حتى الذين يريدون الشراء حقاً، سيهربون من هذه الفوضى المذهلة.

لكن النظر في جوف الصناديق التي كان سايمون قد عبأها كان مضيعة للوقت حيث أنه لم يرقم واحداً منها. هل هذه الأشياء هي التي يريد أن يحتفظ بها، أم هي التي يريد التخلص منها؟ لم يبد ان صندوقاً منها قد حزم بشكل يصلح لرحلة طويلة عبر البلاد.

سمعت صوت الباب الخلفي يغلق بعنف، فقفزت وأغلقت الصندوق. كان سايمون في المطبخ يفرغ كيس معلبات عندما دخلت. كان هناك عدد من الوجبات المثلجة، اثنان من علب تحتوي على لحوم محمرة... ولكن تسجيل مشترياته لم يساعدها في تجاهل إسراع خفقان قلبها، فيا لها من معتوهة، ما الذي كان قاله لها الليلة الماضية عن كراهيته التفكير في انها قد لا تحترمه في الصباح...

من الواضح ان سايمون لم يكن يبدو عليه أن مشاعره نحوها ستغلبه، شعرت بالحرج وهي تعترف بأنها هي التي كانت كذلك، وفكرت باستغراب في ما حدث لها... فهي لم تكن تتحمل وجوده أغلب الأحيان، ولكن ما الذي يجعل قلبها يخفق بهذا العنف كلما نظر اليها.

قالت له: «هل قررت البقاء هنا؟»

توقف عن إفراغ الكيس والتفت إليها شبه باسم: «إلا إذا كنت تعرضين عليّ مكاناً افضل. ان رقبتي قد التوت بشكل علامة استفهام وذلك بعد قضاء الليلة في غرفة البرج تلك.»

«آه، ألم يكن النوم هناك بالحلاوة التي ظننتها؟ لا تقل إنني لم انبهك إلى انك قد لا ترتاح فيها.»

«كلا، ولكن كان بإمكانك ان تكوني أكثر دقة، كان يمكنك ان تخبريني، مثلاً بأن المساحة التي تصلح للنوم في تلك الغرفة كانت أقل من ثلاثة اقدام مربعة، لأن بقية أرض الغرفة كانت تزدحم فيها كل الأشياء غير المرغوبة في بقية المنزل.»

«صدقني أنني لم اذهب إلى هناك مؤخراً، ولكن ما كان في امكاننا أن نفعل أي شيء آخر ببقية الأثاث، كما أن رطوبة الأقبية تمنعنا من تخزين أي شيء فيها.»

«الأقبية مرطوبة كذلك؟ السقف يتسرب منه الماء، المطبخ، سجلي هذا، له منفذان للتصريف، الحمامات منذ ما قبل التاريخ، وها أنت ذي الآن تقولين ان الأقبية مرطوبة؟ هل أنت واثقة من ان هناك من يرغب في هذا المنزل؟»

«إنه منزل فخم.»

ضاقت عينا سايمون: «حسناً، ولماذا تختزنين تلك الأمتعة، على كل حال ألم تفكري في التخلص منها؟ إنني اعلم ان هناك أشياء في تلك الغرفة كنت سألتني عنها.»

«المشكلة مع اكثر أشياءَ غريتا هي انها ليست من القدم لكي تعتبر تحفاً، ولا هي جديدة بحيث يشتريها أحد.»

«وما شأن ذلك بأي شيء؟»

«أحسن طريقة للتخلص من مثل تلك الأشياء، هي البيع بالمزاد، مزاد كبير يستمر طول النهار... ولكن مزاداً واحداً فقط، وهذا يعني ان ننتظر إلى حين الانتهاء من فرز كل شيء، وهكذا، كلما قلت عن شيء أنك لا تريده...»

«عند ذلك كنت تخزنينه في غرفة البرج تلك إلى حين يوم المزاد، تباً لذلك، يا جايمي...»

«وما يدريني انك ستنتهي إلى الإقامة في تلك الغرفة؟ ألا يوجد أمكنة للمزادات يمكننا ارسال الأشياء اليها لبيعها بانتظام؟ انها على الأقل ستكون خارج المنزل.»

«نعم، يوجد.. ولكن بإمكانك ان تكسبي من جعل المزاد هنا على أرض هذا المنزل، اكثر كثيراً من جعله في قاعة عادية في المدينة، ان الناس ستدفع اثماناً خيالية لأشياء تافهة لمجرد انها جزء من املاك تشادويك. ولكن فقرات ظهري لها ثمن هي أيضاً.»

فهزت كتفيها: «هذا عائد اليك، انني سأعطيك اسماء اماكن شحن، ولكنني اظنك ستكون أيسر حالاً إذا انت جعلت روب ينقل بعض الصناديق من غرفة البرج لكي يجعل فيها مساحة اكبر. عند ذلك يمكنك أن تأخذ الكنبة وتضعها هناك.»

«كيف تظنين ان نقل عدة صناديق سيفسح مجالاً كافياً للكنبة؟ ألا تريدين استعمالها؟»

«نعم عندما يبدأ المعرض، ولكنني لن احتاجها إلا بعد أسبوع أو نحوه.»

فقال ساخراً «آه، هذا شيء مريح حقاً.»

إذن، فهو ينوي الإقامة أسبوعاً على الأقل، فقالت: «خذه أو أتركه.» ثم صعدت السلم لكي تتابع نزع ورق الجدار. أمضت أول نصف ساعة تنزع المواد الجافة من نفاثة البخار، وكانت منسجمة بالعمل، عندما دخل روب وهو يقول: «جايمي بالنسبة إلى تلك الصناديق في غرفة البرج...»

فقاطعته: «اسأل سايمون عما يريد الاحتفاظ به.»

«يقول انه لا يريد أياً منها.»

«لا يريدها؟ أليس لدى الرجل ذوق مطلقاً؟»

وإذا بسايمون يبدو عند العتبة وهو يقول بهدوء: «هذا أمر سيء، كما يبدو.» والتقط آلة أخذ ينزع بها ورق الجدران.

عضت جايمي شفتها قائلة: «انا آسفة. كان قولي ذاك سوء أدب مني.»

سأل روب: «هل أضعها جميعها، إذن في غرفة البرج؟»

نظرت جايمي إلى الكنبة محاولة ان تتذكر عدد الصناديق التي كانت نقلتها إلى غرفة البرج. هذا إلى الأشياء التي كانت غريتا قد نقلتها إلى هناك على مر السنين، صناديق لم تشأ جايمي أن تفتحها إلى أن ينتهي العرض ويرتب أمر المزاد، مفكرة في ما كان سايمون قد قاله في ارتفاع اكداس الصناديق إلى السقف.

قالت: «لا أدري أين سأضعها، دعني افكر، وأثناء ذلك بإمكانك ان تفكك أجزاء الكنبة.»

فقال روب: «اتعنين لكي انقلها إلى غرفة البرج؟ اننا لسنا بحاجة إلى ذلك، لقد تدبرنا ذلك انا وسايمون.»

فقالت: «آه، قل ما هو، انني بشوق لأن أسمع.»

فقال ضاحكاً: «لقد اتصلت هاتفياً بأمي، فدعته إلى الاقامة في ضيافتنا طالما يريد ذلك، انه سينام في غرفتك القديمة، يا جايمي.»

فشهقت جايمي: «سايمون، لا يمكنك أبداً ان تنتقل لتقيم مع والدي، فأنت لا تعرفهم من قبل.»

قال روب هازئاً: «هيا، يا جايمي، لم يمانع أبي وأمي في حياتهما قط في استقبال أي صديق كنا نحضره إلى البيت. دوماً كانا يقولان انهما يريدان التعرف إلى اصدقائنا.»

«التعرف هو شيء، وانتقال للاقامة هناك هو شيء آخر، هذا إلى انني لا اصدق أن والدينا يصدقان أن سايمون يمكن أن يكون مماثلاً لك في السن لتتخذه صديقاً.»

فقال روب ببشاشة: «آه، ولكنني لم اقل انه صديقي، لقد قلت لهما أن الأمر هو فكرتك انت.»

الفصل الخامس

أضاف روب: «إذا كنت لا تريدينني حالياً فسأكون في المطبخ.» ولوح لها بيده ثم هبط السلم إلى الطابق السفلي.

قال سايمون وهو يلقي المحفة من يده وينظر حوله وكأنه يبحث عن شيء: «لا شك أنه يريد أن يرى إن كان أحد قد احضر كعكاً.»

تمتمت جايمي تقول: «كان عليّ ان اكتم أنفاسه ذلك اليوم الذي احضرته أمي فيه من المستشفى. حينذاك خطرت لي هذه الفكرة لأول مرة، ولكنني كنت في الرابعة فقط وظننت أن الأمور يمكن ان تتحسن، ولو كنت أعلم...»

قال سايمون: «آه، لا أدري... انه يبدو لي فتى ظريفاً.»

فحملقت فيه: «انتظر حتى تعرفه جيداً.»

«سيكون لديّ فرصة كبرى بهذا، أليس كذلك؟ ما قولك في أن أنفث البخار من النفاثة بينما تكشطين انت الورق؟»

«ظننتك تعبث فقط، هل ستساعدني حقاً؟»

«حسناً، مجرد المراقبة مجلبة للسأم. يمكنك الاستفادة من كل ما يقدم اليك من عون، كيف تعمل هذه النفاثة على كل حال؟»

أخذت جايمي نفاثة البخار منه واخذت تفسر له عن كيفية استعمالها، نظر اليها لحظة، ثم استعاد الجهاز منها وأخذ ينفث منه البخار على ورق الجدران على مستوى كتفه، وهو يقول: «لا عجب أن ذراعيك اخذتا تؤلمانك من حمل هذا، الليلة الماضية. فطريقة حمله صعبة.»

وعادت هي تحمل المكشطة وهي تفكر في أن عليها ان تعمل ملاصقة لسايمون الآن وذلك لتتمكن من كشط كل بقعة ورق حالما ينتهي هو من ضخها بالبخار وذلك قبل ان تبرد. وكان هذا وضعاً مزعجاً بالنسبة إليها، لماذا لم تفكر في ذلك قبل ان تقبل بمساعدته لها.

اعترفت بينها وبين نفسها، ان ذلك لأنها في اعماقها قد اعجبتها هذه الفكرة، وطالما يعرض عليها العون... حسناً، الحق معه. يمكنها الاستفادة من كل ما يقدم اليها من عون.

عاد روب بعد قليل حاملاً قطعة ضخمة من كعكة الشيكولاتة، وهو يقول: «لقد نسيت أن اخبرك يا جايمي، ان أمي قالت ان عليك ان تأتي إلى العشاء عندنا هذه الليلة، وذلك لكي تجعلي سايمون يألف المكان أول ليلة.» نظر اليهما وهما يعملان في مجال لا يتجاوز قدماً مربعاً من ورق الجدران، ثم نظر إلى الثلاثة جدران الباقية والتي مازالت لم تمسّ بعد تقريباً. ثم قال بسرعة: «الأفضل ان اذهب إذن مادام ليس لي عمل.» ثم ما لبث ان عاد يطل برأسه قائلاً: «هل أضع على هذا الباب لوحة اكتب عليها (ممنوع الدخول)؟»

رفعت عليه المحفة فهرب وهو يضحك، وقال سايمون: «انك محظوظة لكون لديك شقيق.»

«شقيق مثل روب؟ لا بد انك تمزح؟»

«كلا، أبداً، فأنا اتكلم عن خبرة ولد وحيد لأبويه.»

«سرعان ما ستغير رأيك إذا أنت تآلفت معه، وها انك ستبدأ منذ الليلة، يا لها من فكرة جميلة.»

فقال باسماً: «انك تجعلينني اتساءل عما اذا كنت مخطئاً طوال تلك السنوات.»

توقفت عن الكشط ونظرت اليه: «دعني اعرف رأيك بعد ايام قليلة. فإذا اعجبك فسأهديك روب دون شروط وربما حينذاك اعرف معنى ان يكون الولد وحيد والديه.»

«لقد اخبرني بأنك كنت تلعبين معه لعبة البيوت.»

«كانت تلك طريقة للتخلص منه، ذلك انني كنت اجعله يلعب دور الوالد، ومن ثم أرسله للعمل، ولسوء الحظ بقي مطيعاً إلى سن السادسة، وبعد ذلك أصبح مزعجاً للغاية.»

نظر اليها بطرف عينه: «لماذا يخطر في بالي ان حبك له اكثر مما تعترفين به ظاهراً؟»

«إنتبه يا سايمون، انك تجعلني اظنك شاعرياً.»

فقال باسماً: «هل كنت دوماً تحبين لعبة البيوت؟»

«هل تلمّح إلى أنني لم أكبر بعد؟»

أجاب: «حسناً، لا يبدو انك كبرت. اخبريني ماذا ستفعلين بهذه الغرفة؟»

«سأجعلها غرفة ضيوف بسيطة، فالضيوف لا ينسجمون مع الغرف الفخمة المزخرفة، ان غطاء سرير من الدانتيل جميل جداً، مثلاً ولكنه يخيف من لا يكون معتاداً عليه.» ونظرت اليه «دعني أريحك، فأنت لن ترى مثل هذه الأشياء في منزل أهلي، عندما قال روب انك ستنام في غرفتي القديمة، فهذا ما كان يعنيه، إذ لم يغيروا فيها شيئاً منذ انتقلت من البيت.»

«انك تحيرينني، يا جايمي، فقد كنت اظنك مصممة ديكور داخلي حقيقية.»

فابتسمت: «انني عملية، لقد حاولت اقناع أمي مرة بأن تجعلني احولها إلى مكتب لها، ولكنها قالت بأن عليّ

حينذاك ان انقل كل أشيائي التي تركتها فيها، وهكذا لم أعد اطلب منها ذلك.»

تألقت عينا سايمون: «أشياؤك؟ أتعنين أشياء مثل الدمى المحشوة، والدفاتر المدرسية؟ هذا شيء اجمل مما كنت أظن.»

«لا تأمل كثيراً، فقد كنت حريصة على أن لا أترك رسائلي الغرامية هناك.»

«لو كان ذلك صحيحاً لشعرت بخيبة أمل، فأنا أراك من النوع الأكثر حرصاً من ان تفعلي ذلك، اخبريني عما تفعلينه في أوقات فراغك.»

«منذ وقت طويل لم اعرف اوقات فراغ حتى انني نسيت ما الذي كنت افعله اثناءها.»

كانا قد وصلا إلى الزاوية تقريباً، وتابعت تقول: «لدي ذكرى باهتة عن نزهات على الأقدام مع كلب روب ولعبة كرة السلة...»

«هل تلعبين؟»

«كلا، ولكنني مناصرة كبيرة لفريق مدينتي.»

نقل سايمون النفاثة من يد إلى أخرى وهو يقول: «هذه الأشياء تصبح أثقل وزناً مع الوقت.»

كانت تشعر بثقل وجوده قريباً منها، هذا إلى حرارة جو الغرفة، فأخذت تتنفس بصعوبة، وقالت له: «هل تريد ان نتبادل عملينا؟»

«كلا، هل تجدين مشكلة في التنفس؟ ربما علينا ان نأخذ فترة راحة.»

فكرت جايمي بأن بإمكانها بعد ذلك ان تجد طريقة تعمل بها بعيداً عنه، ولكنها عندما رفعت بصرها إليه بالموافقة، رأت في عينيه نظرة ماكرة. فقد كان يدرك بالضبط سبب ما

تشعر به من صعوبة في التنفس، فرفعت رأسها بكبرياء وقالت: «انها رطوبة البخار المتصاعد من النفاثة، ولا بدأن الورق الآن قد أخذ يلين.»

«كما تشائين.»

عملا معاً فترة صامتين، قالت جايمي بعدها: «ان عملك لا بأس به.»

«انني سريع التعلم.»

«هل كان عملك دوماً في البيتزا؟»

«كلا، فقبل البيتزا عملت في الإذاعة، وقبل ذلك...»

«الإذاعة؟»

«تبدو عليك الدهشة.»

«كلا في الحقيقة، فهذا طبيعي ولديك هذا الصوت الجميل.» ولكنها لم تجد في هذا العمل ما يلائمه... ولو كان في التلفزيون، ربما كان هذا ممكناً نوعاً ما.

«هل يعجبك؟»

«اتعني صوتك؟ انه جميل جداً.» ثم بدلت الموضوع: «وماذا ستشتغل بعد البيتزا؟»

«لست واثقاً حالياً، ربما الآن بعد ان تعلمت كيف اكشط الورق عن الجدران، سأتعلم كيف ألصقه، وبعد ذلك يمكنك ان تستأجريني.»

«ان لديّ الآن عاملاً مختصاً بذلك، هذا إلى ان ذلك ليس من السهولة كما تظن عندما تعلق الورق المخطط بشكل مستقيم.»

لم يبد عليه ان هذا الخبر قد ازعجه، وقال: «هل هذا هو نوع الورق الذي تستعملينه هنا؟»

فأومأت قائلة: «نعم، خطوط صفراء وبيضاء، فكل غرفة مؤسسة على رسوم بالألوان المائية التي استعيرها من معرض الفنون في المجمع.»

«هل يسمحون لك بذلك؟»

فأومأت: «ان الكتيّب سيحتوي على دعاية حسنة لمعرض الفنون ذاك وللرسام، وسأستغرب جداً إذا لم تنفد الرسوم قبل ان تنتهي فترة السياحة، إنها اتفاقية يستفيد منها كل شخص.»

«وماذا يمثل الرسم؟»

«انه منظر لثلاثة اطفال في بنطلونات صفراء يلعبون بالكرة تحت المطر، حالما رأيت ذلك الرسم، تصورت الغرفة... الخطوط المستطيلة تمثل المطر، والأزهار المحيطة بالرسم تمثل الحديقة التي يلعب فيها الأطفال...»

«انك تجعلين الغرفة بأجمعها تبدو لوحة فنية.»

نظرت إليه بارتياب، متسائلة عما إذا كان يتهكم عليها، إن هذه هي طريقتها في العمل حتى ولو كانت تبدو حماقة.

ولكنه بدا غاية في الجد، خلافاً لعادته.

قالت: «تقريباً، فاللحاف يكون منقوشاً بدوائر صفراء وبيضاء و...»

«أشبه بحفر مليئة بماء المطر.»

أجفلت: «إنني لم افكر في ذلك، في الواقع، ان الجمعية النسائية الخيرية قد صنعت اللحاف وهن سيبعن أوراق يانصيب عليه أثناء السياحة. وهكذا اخبرتهم فقط بالألوان وهن اخترن التصميم.»

«لقد خاب أملي فيك تماماً، يا جايمي.»

«حسناً، فالأذواق تختلف. فأنا لست من النوع الذي يصرّ

على عدم التدخل في تصميم الغرفة بعد الانتهاء منها، ثم إنني سأضيف إلى الألوان الأولية للوسائد لمسات من الأحمر والأزرق والأخضر، وعلى رف المدفأة سأضع جرّة كبيرة من الرخام.»

فقال سايمون مفكراً: «ما الذي سيحدث للغرفة إذا ما اشترى شخص ما الرسم ذاك؟»

«آه، لن نخرج شيئاً قبل أن ينتهي عرض المنزل على السائحين، هذا إلى أنه ربما يرغب الذين سوف يشترون المنزل في الحصول على الرسم أيضاً، ان من يرغب في شراء المنزل يجب ان يروا كل شيء في مكانه، ومن يدري؟ فقد يرغبون في شرائه كما هو.»

فقال: «كل شيء ممكن، من تظنينه سيعيش في النهاية، هنا يا جايمي؟»

نظرت إليه بدهشة، هل هذا السؤال مجرد فضول، أم انه مهتم بذلك حقاً؟

وأجابت: «هولي، قالت انها قد تنظر في هذا الأمر.»

رفع حاجبيه متسائلاً، ولكنه لم يقل شيئاً، فتابعت: «ولكنني أرجو ان يكون من يشتريه، أياً كان، شخصاً يحب هذا المنزل، ليس بناؤه فقط، بل تاريخه أيضاً، شخصاً يجعله مركز المدينة الثقافي مرة أخرى، شخصاً ينشىء أسرة فيه وينقل ذلك الحب والتراث إلى جيل آخر.» كان صوتها رقيقاً حنوناً، وتنحنحت وهي تتابع قائلة: «هذا ما كانت غريتا تريده أيضاً، انني واثقة من ذلك هل تذكر ما قلته عن وصيتها... وهو انها قد تكون مصابة بهاجس؟ كلما فكرت في ذلك، كلما تأكدت من انها كانت تشعر بأنها لن ترى نهاية المشروع.»

«ما الذي يجعلك تقولين ذلك؟»

«لأن هذه الفكرة هي التي كانت وراء كل هذا، وليس مجرد عرض المنزل بالذات، أعني... انني قد اتفقت معها في ذلك، ولكن عندما وضعنا المشروع شاركت غريتا فيه. وهذا أحد الأسباب التي تجعلني أسعى إلى إنجاحه... لأنها كانت متلهفة إلى ذلك، انها الشخص الذي تؤيد الأسرة المثالية، لقد كانت دوماً تقول هذا.»

فقال عابساً: «الأسرة المثالية؟ لا أدري بالضبط ماذا تقصدين؟»

«كنا نسير في أنحاء المنزل ذات يوم، نتبادل الآراء، وإذا بها تقول فجأة: «هذه الغرفة يجب أن تكون للأطفال...»

فأجفل، وقال: «ماذا؟»

ضحكت جايمي: «اعلم ماذا تعني، لقد ظننت نفسي احلم... ذلك انه لم يكن بين غريتا والأطفال أي رابطة.»

فأومأ سايموث موافقاً.

«ثم ضحكت هي للتعبير الذي بدا على وجهي وقالت إنه سيكون من الحماقة ان يجدد هذا المنزل لأجلها هي، فهذا سيجعله مظلماً فاتراً، كانت تريده أن يعكس حياة أسرة، ولكن بما أنه لم يكن لدينا أسرة حقيقية فكرت في أن علينا أن نتخيل واحدة، كالحكايات ذت النهايات السعيدة دوماً، وهذا ما نفعله الآن... تصميم المنزل بالشكل الذي يناسب أسرة غريتا المثالية.»

قال بلهجة بطيئة مليئة بالسخرية: «وانا واثق من انها حدثتك بكل شيء عن ذلك.»

شعرت جايمي بوجهها يحمر قليلاً، كيف وضعت نفسها

في هذا الموضع على كل حال؟ لقد بدت لها فكرة الأسرة المثالية معقولة جداً عندما وصفتها غريتا لها، ولكن تكرار التفاصيل لسايمون كان شيئاً مختلفاً تماماً، كيف نسيت أنه ليس من النوع الذي يعجبه رأي غريتا في الحب الشاعري؟

ولكن قد فات أوان التراجع، وعليها أن تنهي حديثها.

«الزوجان المثاليان هما مغرمان ببعضهما البعض إلى حد بالغ، رغم انهما متزوجان منذ وقت طويل ولديهما طفلان وكلب وقطة وسيارة، الرجل المثالي كان مهنياً، كما قالت غريتا...»

«أراها نظمت عمله كذلك؟»

«ليس تماماً، قالت فقط إنه غير مكرس وقته لعمله إلى حد لا يستطيع معه أن يستمتع بأسرته وبيته وهواياته.» ضحكت قليلاً وهي تتذكر بعض الأشياء التي كانت غريتا قالتها.

«كان السرور يتملكها لهذا الأمر... كانت تتخيله وهو يبني بيوت الطيور في القبو. حتى انها قالت مرة إنه من النوع الذي يعزف الكمان... وليس من الضروري ان يكون نابغة في ذلك... وكانت هي...»

كان سايموث ينظر اليها بسخرية: «هل تتحدثين عن غريتا؟ أم تقصدين المرأة المثالية؟»

«آسفة لخطئي في التعبير، حالياً، المرأة المثالية، رغم انها مشتركة في النشاطات الاجتماعية، إلا انها قعيدة المنزل بصفتها والدة سعيدة بأطفالها. انها من نوع النساء اللاتي يحكين الحكايات لأطفالهن، وفي نهاية النهار، بعد ان يغتسل الطفلان ويأويا إلى فراشهما، ويدخل الزوجان المثاليان إلى غرفتهما...» ولاحظت ان سايمون كان

يرمقها بنظرة ساخرة للغاية، فسكتت فجأة وهي تقول: «لا تنظر إليّ هكذا، انني اكرر لك وصف غريتا، كما تعلم.»

فتمتم يقول: «طبعاً، كيف قررت من سيصمم كل غرفة؟»

حاولت جايمي ان تتنهد بارتياح لتغيير موضوع (الأسرة المثالية). لماذا سمحت لنفسها بأن تندفع بالحديث، على كل حال؟ وكأن سايمون كان يهتم لتخيلات غريتا.

أجابته بقولها: «بإجراء قرعة.»

فقال بارتياب: «وهل حصتك كانت غرفة الجلوس والمطبخ؟ هذه ليست قسمة عادلة.»

فهزت كتفيها: «انني اصمم المكتبة أيضاً، أما المطبخ فلم يكن من نصيبي، ولكنه كان تطوعاً مني.»

قال برقة: «لأجل غريتا.» ولم يكن هذا سؤالاً.

فأومأت، تقول: «كنت خائفة من ان يأتي غيري فيصممه كيفما اتفق، كما ان غريتا كانت مهتمة بكل هذه الأفكار... وكم أتمنى لو ان بامكانها ان ترى كيف يتم اصلاح المنزل.» ودمعت عيناها قليلاً.

ابتعد سايمون ليعيد ملأ نفاثة البخار. وسرت جايمي لهذا، إذ مكنتها هذه الفرصة من استعادة تمالكها لنفسها، وأخذت تجذب بقوة طبقة رخوة تحت النافذة، واجفلت عندما سقطت قطة كبيرة من الجص وتحطمت عند قدميها.

استدار سايمون ينظر إلى ما حدث قائلاً: «هذا عمل جيد، يا جايمي.»

«لست انا من حطمها، فقد كانت غير ثابتة.»

«يبدو وكأن المنزل قد انتقل من موضعه، فالحطام في كل مكان.»

«لقد هدأ كل شيء الآن، وعلى كل حال، فالمنزل عمره اكثر من مائة عام، فلا عجب إذا حدث مثل هذا.»

«ألم يحدث أن فكرت قط في ان المنزل قد لا يستحق كل هذا الجهد؟»

«كلا بالطبع، لماذا انت متشائم بالنسبة لهذا المنزل على كل حال؟»

«لأنني لا أريد ان اعقد آمالاً كبيرة على ما سيكون عليه شكل هذا المنزل. خذي مثلاً غرفة الجلوس...»

«ماذا بشأنها؟»

«انها ليست فقط زرقاء اللون، ولكنها قاتمة الزرقة.»

«انها لن تبقى بهذا الشكل، فهي ستطلى بمادة فضية ما يجعل اللون السفلي صعب الرؤية.»

نظر اليها سايمون بارتياب: «انا شخصياً لا أرى سبباً في وضع دهان ثم تغطيته بعد ذلك، ثم ما ذلك الجهاز الغريب في الغرفة التي بعد الردهة.»

«غرفة الأطفال المثالية؟ انه سرير.»

«أحقاً؟ لم أر قط شيئاً مثله من قبل.»

«هذا لا يدهشني، انه في الواقع، واجهة أمامية من منزل قديم، والفراش يوضع فوقه، فكر في ذلك فقط، يا سايمون ان أي طفل سيحبه. فهو سيراه أشبه بشجرة في غرفته.»

«يبدو من لهجتك وكأن هذه فكرتك انت.»

فقالت: «هذا صحيح، كان مصمم الديكور يريد ان يضع ورق جدران وردي اللون منقوشاً بالأزهار كان ذلك الورق جميلاً حقاً ولكن الطفل المثالي ما كان ليحبه أبداً.»

رفع حاجبه وكأنه يريد ان يسألها كيف تمكنت من ان

تعرف بالضبط ما يعجب الطفل. وقالت جايمي: «آه، انا اعلم، لماذا كل هذا الاهتمام بالأسرة المثالية؟»

«هذا سؤال خطر ببالي.»

«لأنه كان يهم غريتا. انها لا تفرض ذوقها على أحد آخر، إذا انا جئت إلى منزل بعينين لا تريان، فكل منزل اشتغلت فيه يبدو كالآخر وفي النهاية تبدو كلها عادية دون شخصية تميزها.»

فابتسم سايمون قليلاً: «لا اظن شيئاً تقومين به، يا جايمي، يمكن ان يعتبر عادياً.»

لم تعرف هي تماماً ما اذا كان ما قاله مديحاً أم لا، كل ما تعرفه هو ان خفقات قلبها قد تسارعت، قال لها برقة بالغة: «هل كنت تمتحنينني؟»

تملكها الذعر، ما هذا السؤال؟ وقالت له: «ولماذا افعل ذلك؟»

«إنني قانونياً، عميل لك، يا جايمي، فما الذي تفكرين به بالنسبة إليّ؟»

فضحكت شاعرة بالإرتياح: «آسفة، فالأسرة المثالية هي ما تشغل تفكيري الآن. يمكنك بالمناسبة ان تقدم لي خدمة وذلك بأن تقوم بجولة في المكتبة لكي تقرر ما تريد الاحتفاظ به من الكتب منها.»

«لا بد انها تعد بالآلاف.»

«تماماً، وأنا لا يمكنني القيام بذلك لأنني لا اعرف ذوقك في الكتب، ويسرني جداً إزاحتها من الطريق حيث وضعها روب فيصبح بإمكاننا دهن الرفوف. لا اظنها دهنت منذ عقد من الزمان... ولا يمكنك تصور مقدار الغبار الذي كان متراكماً عليها.»

«في هذه الحالة، لا اظن هناك أي كتاب منها أريد قراءته.»

فنظرت إليه غير مصدقة، فقال لها: «اترينني خيبت أملك بشخصي؟»

«هل انت واثق من انك حقاً ابن أخت غريتا؟ ربما كنت كذلك بالحضانة؟»

«كلا، اترين هذه؟ انها ذقن آل تشادويك.» وربت على الغمازة في ذقنه.

فقالت بارتياب: «هل انت واثق بالنسبة إلى هذا؟ ان غريتا لم يكن في ذقنها غمازة.»

«انها ليست غمازة فهي شيء كالصلع.. ولكنها لا تبدو إلا في الرجال، إفحصي صور الأسرة.»

«سأفعل. ولكنني ما زلت غير مقتنعة بأنك من أسرة تشادويك حقاً، أليس لديك شعور بالإنتماء الأسري، مطلقاً؟»

«إذا كنت تعنين بشعور الإنتماء الأسري هذا هو التعلق بكل طبق أو صفحة مطبوعة أو قطعة ثياب كانت تنتمي إلى احد افراد أسرة تشادويك، إذا كنت تعنين ذلك، فجوابي هو كلا، ولا تبدي هذه الدهشة، فهذا ليس منزل أجدادي.»

«ولكن أمك نشأت هنا، فقد كانت شقيقة غريتا.»

فهز رأسه قائلاً: «كانتا شبه شقيقتين، فقد كانت أمي ولدت من الزواج الأول، وكانت طفلة رضيعة عندما توفيت أمها، وهكذا أخذها جداها لتربيتها، وعندما تزوج والدها مرة أخرى، بعد ذلك بسنوات قليلة، لم يسر الزوجة الثانية ان تربي إبنته، وهكذا لم تأت أمي قط إلى هذا المكان.»

كانت عينا جايمي متسعتين ذهولاً: «لم تقل غريتا كلمة واحدة عن هذا الأمر.»

«وهل كنت تتوقعين منها ذلك؟ لم يكن ذلك ذنبها، طبعاً، فقد كانت طفلة وعندما كبرت حاولت ان توثق العلاقات وهكذا جئنا إلى هنا عدة مرات، ولكن أمي لم تشعر بالارتياح قط هنا، ولا اظن غريتا كانت مرتاحة هي أيضاً.»

«وهل تظن ان في تركها المنزل لك كانت طريقتها في المصالحة معك؟»

نظر سايمون حوله وقد امتلأت عيناه ببرودة لم ترها جايمي فيهما قط من قبل، وقال: «إما هذا وإما انها كانت تريد الثأر مني بإرهاقي بحمل بكل هذا العبء.»

لم تعرف جايمي بما تجيب، لا عجب أنه أراد التخلص من البيت بأسرع وقت ممكن، ولا عجب في ان القائمة بالأشياء التي يريد الاحتفاظ بها هي قصيرة إلى ذلك الحد.

كان المنزل مليئاً بالذكريات، كما قالت منذ دقائق، ولكنها المرة الأولى التي خطر لها فيها ان من المستحيل ان يكون في أي من تلك الذكريات ما يبعث على البهجة بالنسبة إليه.

• • •

عندما ذهبوا إلى منزل والديها، كان ذلك في موكب غريب نوعاً ما، كانت هناك أولاً، سيارة روب بألوانها المتعددة كما هي على الدوام، ثم سايمون في سيارة رياضية حمراء ذات سقف متحرك، وتساءلت جايمي عما إذا كان قد جاء بها من اتلانتا كل ذلك الطريق، إلى ان رأت اللوحة المكتوب عليها (مستأجرة)، فقال وهو يراها تحدق اليها: «نعم، انها

مستأجرة، من سوء الحظ ان الجو ليس دافئاً وإلا لكنت فتحت السقف واخذتك في نزهة.»

كان باب الكاراج في منزل أهلها، مفتوحاً، وكان والدها فان في الداخل يضع طعاماً للطائر.

قال عندما رآهم: «ما الذي جعلكم لا تأتون في سيارة واحدة؟»

قالت جايمي: «ان كلاً منا سيذهب بعد العشاء في اتجاه مختلف، يا أبي.» وتقدمت منه تقبله وهي تخاطب أخاها قائلة: «ألا تعرف أباك على صديقك الجديد، يا روب؟»

منحها ابتسامة وقحة: «كلا بالطبع، فأنت أمهر في هذه الأمور، يا جايمي.»

«ولهذا عليك ان تتدرب على ذلك.»

فمد والدها يده إلى سايمون: «لا تهتم بهما، فهما يتشاجران حتى من قبل ان يتعلم روب الكلام، تسعدني معرفتك، يا سايمون، ان أي صديق لجايمي...»

قالت جايمي: «وأيضاً لروب، لا تنس روب.»

فتابع والدها: «هو على الرحب والسعة، تفضل بالدخول ودع حقائبك لروب يتصرف بها.»

في المطبخ كانت أمها كارلا تحرك صلصة في قدر، فوضعت ملعقتها جانباً ومدت يدها تصافح سايمون: «يسعدنا ان نستضيفك عندنا، يا سايمون، عندما اخبرني روب عن غرفة البرج تلك، الخالية من التدفئة، المزدحمة بالصناديق.»

اجاب سايمون بابتسامة: «هذا كرم منك لا يمكن تصديقه.» وإذ رأت جايمي أمها تنظر اليه مفتونة، شعرت هي بالإرتياح إذ لا عجب في افتتانها به مادامت أمها تشعر

نحوه بذلك وهي التي أمضت سنوات في تعليم الآداب في المدارس الثانوية ما جعلها صادقة الحكم على الآخرين.

أجابته أمها كارلا: «هذا غير مهم، لقد اخذت جايمي تدعو اصدقاءها لتناول الطعام عندنا منذ كانت في الثالثة من عمرها، وهكذا تعودت منذ وقت طويل أن أطهي المزيد من الطعام للوجبات.»

فقال زوجها: «تفضل إلى الداخل، يا سايمون، سمعت ان جايمي تشغلك كثيراً في المنزل.» لم تسمع جايمي جواب سايمون، وإنما لهجته بالغة الرقة فقط.

قالت أمها: «ما اجمل صوته، هل لك ان تخرجي الخبز من الفرن؟ يا عزيزتي؟ لا بد انها نضجت، أرجو ان سايمون يحب الخبز الطازج.»

«كل انسان يحب الخبز الطازج، يا أمي، واياك ان تهتمي بتنوع الطعام، فليس عليك ان تعامليه كأنه مميز، وذلك لأجلي.»

«ماذا تقولين، يا جايمي؟ انني لا اطهي شيئاً خاصاً، ان الطعام هو عبارة عن معكرونة فقط.»

اخذت جايمي تخرج الخبز من الفرن ثم تنقل الأطباق إلى غرفة الطعام، لم تدهش وهي ترى أمها تخرج افضل ما لديها من الأطباق، وترى تأثير سايمون على أمها، ولكنها اجفلت وهي ترى أدوات المائدة الفضية الخالصة والموروثة عن جدتها، قد وضعت على المائدة هي أيضاً، وكذلك كان على المائدة أزهار ناضرة.

هذا حسن. فمثل هذه الوجبة البسيطة، حسب رأي جايمي، يجب ان يكون كل ليلة.

عندما ابتدأ تناول الطعام، قال الوالد: «أرى ان كارلا

تريدك ان تشعر بنفسك في بيتك، بتقديمها طعاماً إيطالياً، فقد قالت جايمي انك تشتغل بصنع البيتزا.»

فقال ببساطة: «كنت في ما مضى، اما حالياً فأنا ابحث عن عمل آخر.»

قال الوالد: «ان سمرسيت مدينة صالحة لذلك. فهنا نشاطات كثيرة وخصوصاً في سوق المال.»

نظر سايمون إلى جايمي وسألها: «أهو المكان الذي يوجد فيه محلك؟»

أومأت تقول: «كانت تلك المنطقة لا تعدو عدة بيوت خالية، وليس فيها سوى مطعم رايلي.»

«وهل تطورت إلى هذا الحد؟»

«حسناً، لا تدع أبي يضخم من المسألة... فقد استغرق مشروع تطويرها عدة سنوات وكثيراً من المال.»

فقال الوالد: «وكذلك استثمار المال فيها. ونحن فخورون جداً بتلك المنطقة.»

لم تكن جامي تستمع وهي تقول متسائلة: «لا أدري ان كان آل لاسيتر يفكرون بشراء المنزل.»

فقال والدها: «كنت اظنهم مازالوا يقيمون في تلك الشقة التي فوق المطعم.»

«وهم كذلك، ولكن بما ان سوق مال مازال يتوسع، فمن الممكن ان يصبح ثمن شقتهم تلك يساوي مبلغاً باهظاً.»

سألت كارلا: «انك إذن ستبيع المنزل، يا سايمون؟»

فقال فان وهو يهز رأسه بأسف: «هذا سيىء جداً، ان سمرسيت تتقدم بشكل جيد جداً، وتحتوي على كل شيء، ولكن مدينة بهذا الحجم تحتاج دوماً إلى دم جديد. فكر في

ذلك، يا سايمون، فهذا مكان جيد للعمل والإستقرار، وانشاء أسرة... انظر إلى جايمي، هنا...»

أغمضت جايمي عينيها ألماً وهي تفكر بضيق، ما هذا يا أبي... ما كان لك ان تشير إلى انني موجودة، فهذا واضح.»

قال روب: «لا تهتم بكلام أبي، يا سايمون، فهذه عادته الدائمة.»

مد روب يده إلى قطعة ثانية من الخبز وهو يقول متهكماً: «انها وظيفته، عندما تعالج مسألة التطور الاقتصادي، عليك ان تكون متفائلاً بالنسبة لكل المدينة. هل تعلم كم يزعج هذا الكلام عندما يكون عليك ان تستمع اليه طوال الوقت؟»

تنفست جايمي الصعداء شاعرة بالإرتياح. ونظر اليها روب باهتمام ثم غمز بعينه وهو يقول ضاحكاً: «ماذا ظننتني كنت سأقول، يا جايمي؟ هل هو شيء عنك؟»

الفصل السادس

وضع سايمون شوكته في الطبق، ومسح شفتيه، ثم مدّ يده يتناول كوب ماء. وأحست جايمي بأن اصابعه ترتعش فظنت وقد تملكها الذهول، انه يرتجف من الخوف.

لكنها عادت فأدركت ان الأمر لم يكن خوفاً على الإطلاق ذلك ان سايمون كان يحاول جهده ان يمنع نفسه من الضحك. وشعرت على الفور، ولسبب غير منطقي، بالانزعاج. ما هو المضحك في الأمر، على كل حال.

وتذكرت فجأة انحباس انفاسها عندما كان يعملان معاً عصر هذا اليوم. وحدثت نفسها بحزم بأن مشاعرها تلك كانت جنوناً كلياً، ولكن عبثاً. وذكّرت نفسها بأنها لا تكاد تعرف الرجل، وانه الليلة الماضية فقط كان يقول انه يكاد يموت خوفاً منها. وهكذا ليس ثمة سبيل إلى الصداقة بينهما، فكيف بعلاقة من نوع آخر اكثر عمقاً؟ كان الأمر كله مستحيلاً.

عندما نظرت في صحنها ادركت انها تناولت قسماً كبيراً منه دون ان تشعر بمذاقه، لم تكن تشعر بشيء سوى سايمون... ولا عجب في ذلك فوجودها بجانبه يجعل اهتمامها كله ينحصر في محاولة تمالك نفسها.

ولكن هذا ليس الوقت المناسب للتفكير في مقدار تأثيره عليها. ولاحظت جايمي الصمت الشامل على المائدة. كان كل شخص، ما عدا سايمون ينظر إليها. وفي اللحظة التالية سيتحول المشهد كله إلى مهزلة.

www.elromancia.com

أنهت جايمي طعامها واستندت إلى الخلف ثم قالت: «ما الذي كنت تتحدث عنه يا أبي بالنسبة إلى مدينة سمرسيت؟»

«كنت اقول انك مثال للنشىء الجديد من اصحاب الأعمال في المدينة.»

فشعرت جايمي بالرغبة في الضحك من نفسها. لقد سرح بها الخيال. بينما كل ما كان والدها يتحدث عنه هو مدينة سمرسيت. ولكن هذا لم يبد لها مضحكاً كما ينبغي.

تابع والدها يقول: «وليتكلم روب كما يشاء عن تفاؤلي المؤلم، ولكن هذا لن يقلل من صحته. ان سمرسيت مشرفة على الإزدهار تجارياً. وهذه النشاطات في البلاد سيجعلها المنطقة المتطورة الثانية. ومطلوب منا ان ننتهز هذه الفرصة.» التفت إلى سايمون رافعاً حاجبيه: «هل تفكر في العمل في مطعم مرة أخرى، ام انك تفكر في شيء آخر؟»

فقال سايمون: «بل في شيء آخر، كما اظن فأنا احب التنقل على الدوام. فإذا كان لديك اقتراح ما، يا سيدي...»

اومأ روب برأسه متمتاً: «ها انك فعلتها الآن. لقد حاولت تحذيرك يا سايمون، اياك ان تدعوه بلقب سيدي مرة أخرى. فهذا ما يجعله متغطرساً.»

قالت جايمي متأملة: «تحب التنقل؟ هل هذا يعني سرعة السأم بسرعة؟»

فالتفت سايمون اليها، ثم ابتسم ببطء: «هذا بالنسبة للعمل فقط.»

خفق قلبها وقد فهمت المعنى الذي تضمنه كلامه وانتابها شعور لم تعرفه من قبل...

ابتدأ والدها يقول: «حسناً، هناك مشروع صناعي جديد

بجانب المطار، واظنك رأيته حين هبطت طائرتك. ان لدينا الكثير من المشاريع حتى ان هناك تمويلات موجودة لصناعات جديدة.»

فقال سايمون باسماً: «يبدو ان هناك فرصاً رائعة. من سوء الحظ انني لا اعرف شيئاً عن الصناعة.»

فتابع الوالد: «هناك اذن بناء البيوت. ان مهنة البناء تجلب ثروة، هل تعرف شيئاً عن البناء؟»

فهز سايمون رأسه بحزن: «إن جايمي تعلمني كيف اكشط ورق الجدران. ولكنني لا اظن هذا امراً ذا شأن.»

ابتدأت الأم تخلي المائدة تساعدها في ذلك ابنتها وبعد ذلك بقليل حين عادت بطبق كبير من الفاكهة والكعك، وجدت الرجال الثلاثة مستغرقين في الحديث عن فرقة الكلية لكرة السلة.

قال روب: «ستلعب الفرقة هذه الليلة. هل تريد الذهاب يا سايمون؟»

قالت كارلا: «نعم، اذهب يا سايمون اذا كنت تحب كرة السلة.»

قال روب: «علينا اذن ان نذهب الآن. هل ستأتين معنا يا جايمي؟»

«لماذا؟ هل تريد ان تأخذ تذكرتي الموسمية؟»

«كلا بالطبع، فلدي بطاقتي المدرسية للدخول. ولكن سايمون بحاجة إلى تذكرة.»

نظر سايمون اليها وهي تضع طبق حلوى امامه، ثم سألها برقة: «لماذا لا تأتين معنا؟ كنت قلت انك تحبين الهتاف للاعبين.»

«علي ان اعود إلى المنزل للعمل.»

«ما هو مقدار ما تتوقعين انجازه اليوم؟»

فقالت: «جداراً واحداً اذا كنت محظوظة.»

«وما هو المقدار الذي انجزناه؟»

«اثنين تقريباً. ولكن...»

«انك اذن تستحقين مكافأة، ألا تظنين ذلك؟»

أخذت تفكر في ان المهم ان تذهب لا للتفرج على اللعب وانما لتكون بجانبه. فقد لا يمكث طويلاً في هذه المدينة...

قالت كارلا بدورها: «انك فعلا تستحقين مكافأة. ان فان سيعطيك مفتاحاً للمنزل الآن، يا سايمون وبهذا يمكنك الخروج والدخول ساعة تشاء اننا نريدك ان تعتبر هذا البيت بيتك طالما انت تريد ذلك.»

فقال برقة: «اشكرك جداً. ان هذا لطف بالغ منك.»

في الخارج، قال لها روب وهو ينظر إلى وضع السيارات في الفناء: «يمكننا ان نأخذ سيارتك يا جايمي، ما دامت موضوعة في الطريق.»

فقالت: «هل معنى ذلك ان سيارتك ينقصها الوقود؟»

اجاب روب ضاحكاً: «كيف عرفت ذلك؟ الا اذا شئت ان تتطوع بتقديم سيارتك، يا سايمون. وحيث انك لا تعرف الطريق، فسأقودها أنا.»

قال سايمون باعجاب: «انك لست بالفتى السيء، يا روب، وأنا معجب بك ولكن ليس إلى الحد الذي اسلمك فيه سيارتي.»

صعد روب، دون اي شعور بجرح في كرامته، إلى المقعد الخلفي من سيارة جايمي بينما جلس سايمون في المقعد الأمامي بجانبها.

قال لها وهو يحاول الامساك بيدها: «يبدو عليك الاضطراب، يا جايمي.»

فأجابت وهي تبعد يدها: «لا شيء من ذلك بالطبع ولكن عليّ ان اقود بيدي الاثنتين.»

اوقفت السيارة بعيداً عن مكان اللعب، واثناء سيرهم نحو الملعب روب جماعة من اصدقائه ثم قال: «علي ان اسأل جيري عن بعض الدورس، وسأعود بعد قليل.»

فتمتم سايمون: «هذا مؤسف.»

تنفست جايمي الهواء البارد بعمق. وقالت له: «اظنك قلت مرة انه فتى رائع.»

«وهو كذلك. ولكنني لم اكن اتحدث عن روب عندما عبرت عن اسفي، بل عنك اذ ترفضين ان تدعيني المس يدك.»

لم تجب. وكان مكان المتفرجين مزدحماً. وعندما اشترى سايمون تذكرته، كان الفريقان في الساحة كما كان المكان الذي اعتادت جايمي الجلوس فيه ممتلئاً. وتقدمت إلى مكان اقل ازدحاماً حيث تبعها روب وهو يقول: «إنني ذاهب لاحضار آيس كريم قبل ان يبدأ اللعب. هل يريد احد منكما ان يأتي معي؟»

فقالت له: «كيف يمكنك أن تأكل شيئاً الآن بعد كل تلك المعكرونة التي اكلتها؟»

«لأن محل ميلر يبيع في كشك هنا.»

فسأل سايمون: «هل يعني ذلك ان هذا الآيس كريم مختلف عن غيره؟»

أومأت جايمي وهي تتنهد: «إنه ألذّ ما في سمرسيت. اذهبا وسأحافظ على مقعديكما ولا تحضرا شيئاً لي.»

بعد ذهابهما بدقيقتين، تقدمت فتاة شقراء الشعر وجلست على المقعد الذي بجانب جايمي وهي تقول برقة: «يقول الناس انك ستبيعين منزل غريتا قريباً.»

قالت جايمي: «لا ادري بالنسبة إلى الوقت اذ لا يمكنني ان اسلم شيئاً قبل ان ينتهي العرض للزائرين.»

«اذا، فالأفضل ان تسجلي ذلك الآن.»

«ماذا حدث لثقتك بنفسك؟ كنت أظن بامكانك بيع اي شيء في أي وقت.»

فقالت كريستا باسمة: «بيني وبينك، يمكنني ذلك اما بالنسبة إلى شركة اخرى فعليك ان تسجليه قبل البيع بشهور. هل أجهز الأوراق اللازمة لذلك واحضرها اليك غداً.»

أخذت جايمي تفكر. انها خطوة كبيرة، اذ عندما توقع هذه الأوراق فلن يكون هناك تراجع او تغيير في الرأي. وقالت: «علينا ان نتحدث في التفاصيل. اذ سيكون هناك بعض القيود عند عرضه.»

«طبعاً، هل احضر غداً صباحاً؟»

فاومأت ايجاباً. هذا ينبغي ان ينجز كما ينبغي عليها، لأجل سايمون، لا ان تلغي تسجيله. ولكن... والقت نظرة على الملعب حيث كان اللاعبون على وشك الابتداء، ورأت سايمون وروب متجهين نحوها، وكل منهما يحمل بيده كوباً كبيراً مليئاً بالآيس كريم. فقالت بسرعة: «تعالي عند الساعة العاشرة إلى مكتبي. عند ذلك سنتحدث عن كل شيء.»

كانت كريستا تنظر إلى سايمون هي أيضاً، وكأنها شعرت بجاذبيته المغناطيسية، ثم سألتها: «أليس هو ابن اخت غريتا؟»

وإذ اومأت ايجاباً، عادت هذه تقول باسمة: «هكذا اذن. لقد فهمت سرّ عجلتك في التخلص مني. إلى اللقاء غداً.»

أخذت جايمي تنظر إلى سايمون وهو يتجه نحوها مخترقاً الجموع. وادركت ان ما جذبها إليه ليس مجرد افتتان بسيط، ولا الاهتمام المعتاد بأي شخص غريب ذلك ان شعورها نحو سايمون كان شيئاً اعمق من هذا بكثير. فهو رجل فريد من نوعه.

وإذا لم تنتبه هي إلى نفسها، سرعان ما تصل بها مشاعرها إلى فقدان هدوئها النفسي.

* * *

انتصر فريق المدينة، وعندما انتهت المباراة كان صوت جايمي قد بُح من الهتاف.

قال روب مخاطباً سايمون: «ان جايمي متحمسة جداً لكرة السلة. وطبعاً لا بد ان يكون لذلك علاقة بالمدرب. فقد بقيت تخرج معه فترة اثناء الشتاء الماضي. على هذا هو السبب في حرصك على الجلوس هنا طوال الوقت، يا جايمي؟ خوفاً من ان يراك المدرب مع رجل آخر؟»

حاولت جايمي ان تمنع حمرة الحرج من ان تصعد إلى وجنتيها، فاندفعت تقول: «ان سايمون ليس...» وسكتت وهي ترى نظرة الاهتمام التي ارتسمت في عيني سايمون الذي قال لها: «هل كنت ستقولين انني لست مجرد رجل آخر. يا له من اطراء لي، يا جايمي.»

فحملقت فيه: «لقد كنت اردت ان اقول انني لست هنا للتفرج على المدرب، ولكن بما ان الأمر هو نفسه بالنسبة اليك...»

فتمتم يقول: «فقد اخرستني تماماً.» ولكنها رأت عينيه ما زالتا متألقتين.

ثم قالت لروب: «اما بالنسبة اليك، يا اخي الصغير...»

فقال روب بسرعة: «أنا ذاهب مع جيري. اخبري امي بأنني ساتأخر لأننا سنذهب لنأكل بيتزا. هل تريد المجيء معنا، يا سايمون؟»

«كلا، شكراً. اريد ان اعيد شقيقتك إلى بيتها آمنة.»

قالت جايمي: «لا تهتم بأمري، فأنا لا اريد حراسة. ثم لماذا تهتم بي الآن بينما الليلة الماضية...»

أضاف سايمون يقول بلطف: «هذا إلى انني كرهت البيتزا إلى حد لا اريد رؤيتها بعد الآن.»

فتمتمت جايمي: «هذا سبب مقنع. خصوصاً اننا اتينا بسيارتي، اذ بعد ان انزلك سأعود إلى بيتي بمفردي.»

«لقد نسيت حقاً. اذن فسنذهب إلى شقتك اولاً، ثم استأجر سيارة لتأخذني إلى منزل اهلك.»

«يمكنك ان تذهب مشياً. فالمنزل قريب ولكن لماذا؟ انني لا اخاف من الخروج وحدي ليلاً. ان اكبر جرم في تاريخ المدينة حدث منذ سنوات وهو جريمة احتيال.»

اعترضها كثيرون، وهما يشقان الزحام، كانوا إما من اصدقاء جايمي يسألونها عن موعد عرض المنزل للسائحين، وإما مواطنين يرحبون بعودة سايمون إلى المدينة.

قال متأملاً: «يبدو انهم جميعاً يفترضون انني سأبقى هنا.»

«الأمر معقول من وجهة نظرهم. فأنت قد ورثت فجأة املاك الأسرة فما الذي يمنعك من البقاء؟ وبعد فهذا موطنك.»

«انه ليس موطني.»

«انك لا تعرف عقيدة الناس هنا. فما دمت من سمرسيت، فستبقى دوماً منها.»

«ولكنني لا اكاد اعرفها.»

«لقد كانت غريبتا واحدة منا، وهذا يكفي.»

وابتسمت له: «لا تهتم لذلك، فعندما يعرض المنزل رسمياً، سيصابون بخيبة امل طبعاً، ولكن هذا سرعان ما سيزول.»

«كم سيستغرق هذا من وقت؟»

«آه، ليس لك ان تشغل بالك بذلك. فإلى ان ينتهوا من سيرتك، ستكون انت قد تركت المدينة منذ وقت طويل.» كانت تتكلم بمرح ولكنها في اعماقها كانت تشعر بفراغ وهي تتصور مغادرته الوشيكة.

استدارت بالسيارة نحو بيت اهلها، ولكن سايمون قال معترضاً: «لا اريد ان اذهب إلى البيت.»

«ولكنني متعبة، يا سايمون.»

«ستصلين إلى بيتك بشكل اسرع مما لو اخذتني إلى بيت اهلك.»

ألقت عليه نظرة حاولت ان تجعلها ساخرة: «ثم انك لا تريد ان تدخل بيتي لتناول فنجان قهوة، كما اظن.»

فقال: «ألا تثقين بي؟» وبدت الكآبة في لهجته، ولكنها لم تشك في ان نظرة خبيثة بدت في عينيه.

لم تشأ جايمي ان تعترف، حتى بينها وبين نفسها، انه ليس هو الذي لا تثق به، بل نفسها اذا هي دعته إلى فنجان قهوة في شقتها.

كان منزل اهلها مظلماً ما عدا ضوءاً باهتاً في المدخل

قرب باب الكاراج. اوقفت سيارتها قرب سيارة سايمون، واطفأت المحرك.

وقالت: «هذا يعيد إليّ ذكريات بعيدة. فأمي دوماً كانت تترك هذا المصباح مضاءاً عندما اكون في السهرة. اظنها كانت تريد ان تذكرني بأن التأخر في السهر هو ضد القوانين.»

فقهقه سايمون ضاحكاً: «لا بد ان الأمر سيبدو غريباً ان تحضريني إلى هنا بدلاً من أن تدخلي أنت.»

«هذا صحيح. انه امر غريب في الحقيقة.»

وترجل من السيارة، ووقف ينظر إليها إلى ان غابت بسيارتها بين طيات الظلام.

شعرت جايمي باهتزاز في يديها وكأنها نسيت كيف تقود سيارة وشعرت بالخوف. الخوف من سايمون والتأثير الذي اصبح له عليها.

ما الذي تعرفه عنه، على كل حال لا شيء في الواقع ما عدا ان غريتا كانت شغوفة به حباً وهذا شيء لا ضمان فيه حيث انها لم تكن تراه الا نادراً.

حدثت نفسها بأن الأجدى ان تبقى بعيدة عنه. كان هذا هو ما عليها القيام به. وتمنت لو بامكانها اتباع هذه النصيحة الحكيمة.

* * *

يومان مرّا لم تر جايمي فيهما سايمون. ولكن هذا لم يكن مقصوداً تماماً. ذلك ان مجموعة كبيرة من الاثاث والستائر التي كانت طلبتها لعملائها، قد وصلت قبل

الموعد. وكان التوقيت سيئاً للغاية بالنسبة إلى جايمي. حتى ولو كان لديها فسحة في محلها تضعها فيها لأسبوع او اثنين، فهي لا تستطيع ان تتملص من زبون. فتركيب الاثاث وتسليمه يتطلب وقتاً. ولم تستطع الذهاب الى منزل تشادويك سوى مرتين لم تستطع اثناءهما الا تفحص ما فعله مصممو الديكور الآخرين.

في كلا المناسبتين لم تجد سايمون هناك. مع انه كان قد امضى بعض الوقت فيه. ولم تكن بحاجة الى ذكاء خارق لتميز حسه الفكاهي في الطريقة التي كانت الكتب اعيد وضعها بها على رفوف المكتبة حيث صفت باناقة حسب الحجم واللون دون اي انتباه لمواضيعها.

وطبعاً، لم تكن عدم رؤيتها له تعني ان اضطرابها قد تبدد. فهي ترى نفسها تفكر فيه في الأماكن والأوقات غير الملائمة كلياً. وقد تملكها الغيظ عندما رأت نفسها تخسر زبوناً في مناسبتين عندما كانت افكارها تذهب بها بعيداً عن الزبون وذلك في ادق اللحظات الحاسمة.

صباح يوم الجمعة لحقت بها مساعدتها الى مكتب مجدد جزئياً حيث كانت تنظر الى انواع السجاد وذلك لكي تخبرها بأن متعهد الدهان قد الغى موعده السابق وسيكون في منزل تشادويك في الساعة الثانية بعد الظهر لكي يدهن خزائن المطبخ.

فصاحت جايمي شاكية: «ولكن ليس لديّ وقت له.» ولكنها في نفس الوقت، كانت تعلم ان عليها ان تتمسك بهذه الفرصة وإلا فقد يؤجلها المتعهد مرة اخرى بينما ليس ثمة وقت للتأجيل مرة اخرى. وقالت لها: «كوني ابحثي عن

هولي واطلبي منها ان تأتي لتساعدني. علينا ان نسرع قدر امكاننا.»

وبعد ذلك بساعة، كانت جايمي في المطبخ تلصق اوراق الصحف على الجدار الذي يعلو الخزائن، عندما وصلت هولي. تنهدت جايمي قائلة: «لشد ما أنا مسرورة برؤيتك. كنت اوشكت على الظن بانك لا بد غادرت المدينة.»

فقالت هذه متأملة: «يا ليتني فكرت في ذلك فهذا ما يجعلني ارتاح من العمل... في الواقع تصورت انك لا تريدين التوقف لتناول الغداء ولهذا اشتريت في طريقي بعض الطعام من محل ميلر.»

قالت جايمي: «انك رائعة يا هولي.»

«ولكن اخبريني عما يفعله سايمون هناك.»

أجابت جايمي وهي تنظر في جريدة بيدها: «هناك؟ اتعنين في محل ميلر؟ وما يدريني؟»

«لا تجربي هذه اللهجة معي، يا فتاتي يقول الناس انكما انتما الاثنين متفاهمين.»

ورفعت هولي يدها تجمع اصبعين معاً. «حسناً، اقاويل الناس خاطئة غالباً. اظن سايمون يتسكع هناك لأنه شغوف بالآيس كريم. وكان تذوقها اثناء مباراة كرة السلة هذا الاسبوع. هذا كل ما اعرفه عن ذلك.»

«لقد سمعت عن تلك المباراة.» وضعت هولي ما احضرته من شطائر ومرطبات في الثلاجة وهي تتابع قائلة: «سمعت ان المدرب هناك كان يسير في انحاء المكان حانياً رأسه حزيناً بعد ان رآك مع سايمون، كما ان...»

«لا تكوني سخيفة. حتى انني لم أر سايمون منذ ذلك الحين.»

«آه، هذا يستوجب كل انواع الاسئلة الهامة.»

«هل لك ان تسكتي وتبدأي بإلصاق الجرائد؟»

«ولكنني لا اعدك بأن اتوقف عن التفكير. أين تريدينني ان ابدأ؟»

«غطي القرميدة الذي بين الخزائن السفلى والعليا، ثم ابدإي بالفولاذ الذي لا يصدأ. دعي السقف الى النهاية لأننا اذا لم نغطه كله...»

«انك تمزحين دون شك. هل تريدين ان نغطي السقف بأجمعه؟»

«نعم اذا كان لدينا وقت. وإلا فسأدعهم يدهنون ثم انظف المنطقة التي يلوثها الدهان.»

مضت دقائق لم يكن يسمع اثناءها سوى حفيف الجرائد، وصوت وقع قدمي جايمي على الفولاذ. ثم قالت هولي: «من المؤسف ان ميزانيتنا لا تكفي لتجديد المطبخ كما ينبغي.»

«وكيف كنت ستجدينه؟» كانت جايمي في الحقيقة، تكثر من الاسئلة فقط لكي تصرف ذهنها عن الألم الذي تحسه في ذراعيها والصقيع الذي تشعر به في اصابع قدميها، اكثر من رغبتها في سماع رأي هولي. ولكن اذا كانت هولي مهتمة بالمنزل جدياً...

أجابت هولي حالمة: «من خشب السنديان الذهبي.»

نظرت جايمي اليها مستنكرة: «انك تمزحين فهذا لا يتلاءم مع طراز المنزل الأساسي كلياً.»

«ولكن ألم يضف آل تشادويك حمامات الى منزلهم هذا؟ وهي ليست اساسية.»

«هذا شيء مختلف. فالمطبخ جميل تماماً كما هو.»

نظرت هولي إليها مفكرة: «حسناً، ربما اذا اصبح منظره معقولاً، يمكنني ان افهم نظريتك آه، لم يبق سوى صحف معدودة.» وناولت جايمي آخر مجموعة، ثم خرجت لتحضر المزيد.

امضت جايمي عدة دقائق مندهشة من انزعاجها من فكرة الخزائن المصنوعة من خشب السنديان الذهبي، إلى هذا الحد. كان الحق مع هولي تماماً وهي تقول ان تحديث منزل ليس خطأ، خصوصاً اذا كان العمل به قد تم مسبقاً، وربما لم يكن للمطبخ الأساسي أي خزائن.

ربما كان سرورها بما آل إليه منظر المطبخ هو الذي جعلها لا تطيق التفكير في ان شخصاً ما سيهدم كل ذلك فيما بعد.

فتح الباب الخلفي ودخل سايمون وهو يقول ببشاشة: «مرحباً، لقد تغيّر المطبخ حقاً منذ آخر مرة رأيته فيها.»

فقالت: «مرحباً.» كان عليها ان تتمالك نفسها لتستطيع العودة الى لصق الورق، فهذا افضل كثيراً من مجرد الوقوف والنظر الى سايمون.

بعد ذلك بلحظة، لم يعد باستطاعتها احتمال ذلك، وهكذا نظرت اليه من فوق كتفها. كان ينظر اليها بالطبع.

كانت تقف فوق منضدة، فقالت له: «هل لك ان تناولني لفافة من الورق، من فضلك؟»

فناولها واحدة من الكومة الموجودة على الأرض وهو يقول: «اتريدينني ان اجهز كل ورقة وأناولك اياها؟»

«ليس حالياً. ولكن ابق قريباً. عندما تعود هولي بمزيد من الورق، سأكلفك بعمل.»

ذهب إلى الثلاجة ليحضر زجاجة عصير ثم جلس على زاوية مائدة المطبخ يؤرجح قدميه وهو يتفرح عليها وهي تعمل ثم سألها: «هل كنت تتجنبين رؤيتي؟»

كاد الورق يقع من يد جايمي: «هذا غير صحيح، طبعاً. لقد كنت اعلق ستائر وأسلم اثاثاً.»

«أليس قريباً من هذا المنزل؟»

فهزت رأسها: «إن الزبائن الدائمين تكون متطلباتهم كثيرة، فلأنهم يدفعون اموالهم يظنون ان لهم كل الحق في ذلك.»

قال موافقاً: «تصوري الحماقة. لقد فهمت الآن لماذا تفضلين العمل لأجل الأسرة المثالية.»

«الحق معك، فإن الاسرة المثالية لا تتذمر ابداً.»

فتابع يقول: «طبعاً. كنت اسألك عما اذا كنت مختبئة لأن والدتك عجبت لعدم ذهابك ولأنني لا انفك اصادف رجالاً ينظرون إليّ بتهكم وكأنني نوع شاذ من المخلوقات.»

«من هم؟»

«هذا ما أريد معرفته. لا أملك الا الظن بأنهم اصدقاء قدامى لك... أو ربما اصدقاء حاليون... وهم لسبب ما، يشعرون بأنهم مهددون. اتعلمين لكان من الأفضل لو انك نبهتني إلى الاصدقاء الذين كان لهم شأن في حياتك.»

جعلتها غطرسته تريد ان تصرخ، بينما تابع هو قائلاً: «لقد ملأ روب رأسي طبعاً عن بعض الاصدقاء الحديثين، ولكن...»

وقبل ان يتابع كلامه، كانت هولي قد عادت بملء ذراعيها من الجرائد، وهي تقول ببشاشة: «هاك انها آخر رزمة في

المنزل.» نظرت إلى سايمون ودفعت إليه رزمة من الورق وهي تقول: «آه، هذا حسن. يمكنك ان تغطي السقف، وإذا لم تنهه في الوقت المناسب، ستكلفك جايمي بمهمة اصلاح التلف الذي سينشأ عن ذلك فيما بعد.»

وضع سايمون زجاجة العصير جانباً: «أين يمكنني ان اعثر على سلم؟»

«عند الباب الخلفي.» قالت جايمي ذلك وهي تدور حول الزاوية ثم تأخذ في تغطية المنطقة التي تعلو الثلاجة. وتمنت لو تستطيع ان تغطي فم سايمون بقطعة من هذا الورق اذ يطلب سجلاً بأسماء الرجال الذي خرجت معهم.

وتساءلت عما اذا كان حقاً يريد ان يعرف.

عندما عاد سايمون حاملاً السلم، لم يكن وحده. فقد فتحت له امرأة في منتصف الاربعينات من عمرها، الباب ثم تبعته.

نظرت جايمي إليها بدهشة، انها لوريلا فرانكلين. ما الذي جاء بها الى هنا؟ حتى انها ليست عضواً في الخدمات المتحدة، كما انها غير داخلة في اتحاد مصممي الديكور كذلك.

كانت لوريلا تقول لسايمون: «اذا كنت حاضراً لمثل هذا النوع من العمل، فأنا دوماً اسمع باناس يريدون اجراء جيدين.»

اجابت ببساطة: «لن انسى ذلك.»

قالت هولي: «آسفة، يا لوريلا ان سايمون هو متطوع فقط هنا في وقت فراغه، فهو مشغول في بيع الآيس كريم في محل ميلر.»

ذهلت جايمي... هل كان يعمل في محل ميلر؟ أهذا ما كانت تعنيه هولي وهي تقول انها رأته هناك اثناء اليومين الماضيين؟ ورأى سايمون نظرتها الحائرة، فهز كتفيه: «كانوا مشغولين وقت الغداء، وهكذا دخلت لأساعدهم.»

سألته جايمي: «هل تساعد في وقت الحاجة؟»

«نعم، ولكن علي ان اعترف بدافع انانى ايضاً إذ انه، مع التدريب الكافي، سيكون بامكاني ان املأ اكبر قمع بالآيس كريم، ولا يدري احد حتى يحتاج المرء الى القيام بهذا العمل.»

قالت هولي: «حسناً، يا لوريلا؟ ماذا بامكاننا ان نفعل لاجلك اليوم؟»

كانت المرأة واقفة عند باب غرفة الطعام تمد يدها الى المقبض. فالتفتت ومنحت هولي ابتسامة جادة: «لا تهتمي بأمري، فأنا اتفرج فقط.»

قالت هولي بحزم: «لا يمكنك ذلك قبل نهاية الأسبوع القادم، وحينذاك عليك ان تشتري تذكرة دخول. ان عرض المنزل لم يبدأ بعد.»

«انني مهتمة بشراء المنزل. لقد ارسلتني كريستا بلين إلى هنا.»

شعرت جايمي بالشك يساورها في هذا الكلام. فقد كانتا عقدتا اتفاقاً بالنسبة للشروط، وهذه الزيارة تنقض جميع ذلك: «لقد اتفقنا أنا وكريستا، عندما وقعنا اوراق التسجيل، على انها ستتصل بي هاتفياً قبل ان تفكر في عرض المنزل، وهي لم تفعل. وهكذا لن يكون بامكانك القيام بذلك هذا النهار. ربما الأفضل ان تنتظري الى حين انتهاء العمل في المنزل، على كل حال.»

بدا سايمون وكأنه جمد في مكانه. كان يحمل ورقة من جريدة وينظر إليها من فوقها بشكل غريب، كما رأت جايمي. من الواضح انه لم يكن يريد رؤية زبون للمنزل. ولكن لا حيلة لها في ذلك، فإن لوريلا وغيرها لا بد ان يتقيدوا بالقوانين.

قالت لوريلا بضجر: «هذا سبب وجودي هنا بالضبط... لأن العمل لم يكتمل بعد، انني اريد ان احيل المنزل الى مطعم ومشرب للشاي وإذا استطعت ان ارى ما تفعلون، يمكنني توفير الكثير من الازعاج. انني مثلاً، لا اعرف ما تفكرين فيه بالنسبة الى هذه الخزائن. ولكن هناك شروط للبلدية بالنسبة لما يجب ان تحتويه مطابخ الأماكن العامة. واذا أنا تفقدت المكان، فسيوفر ذلك الكثير من العناء، كما انني...»

قاطعتها جايمي: «تصلحين اخطاءنا؟ وربما تريدين ان تبدي موافقتك على ورق الجدران ايضاً. اظن الأفضل ان تتحدثي مع كريستا مرة أخرى، يا لوريلا.» مدت يدها تتناول جريدة من سايمون ثم تنشرها بعنف على سطح الثلاجة.

قالت لوريلا: «حسناً، اذا كنت لا تريدين التعاون، فأنا سأفعل ذلك ايضاً. ولكنني سأحذرك في هذه الحالة قد لا تدوم رغبتي في شراء المنزل.» ثم خرجت صافقة الباب خلفها.

كان سايمون ينظر الى جايمي، ولكنها احست بأنه لم يكن يراها في الحقيقة. بدا وكأنه كان يحدق في الفضاء. فعضت شفتها، وأخذت تقول: «اسمع، أنا آسفة ولكنني واثقة من ان كريستا لم ترسلها، ربما كانت ذكرت المنزل،

ولكنها ما كانت لتشجعها على القيام بجولة ذاتية. فهذا عمل غير حسن.»

قالت هولي: «آه، انسي ذلك. فلوريتا ليست خسارة كبرى. ما رأيك في تناول الغداء الآن.» ومدت يدها الى قبضة باب الثلاجة. تابعت: «جايمي هل تريدين روستو أم جبناً وبيضاً؟ اظنك قد سبقت وتناولت الطعام، يا سايمون؟»

ولكن باب الثلاجة لم يفتح. جذبته هولي مرة اخرى وكأنها لم تصدق ذلك، ثم نظرت مفكرة الى ورقة الجريدة التي كانت جايمي وضعتها لتوها على سطح الثلاجة. ثم قالت: «عزيزتي، الم يخطر ببالك ان تنتظري الى ما بعد تناولنا الغداء قبل ان تضعي اللاصق على باب الثلاجة؟»

الفصل السابع

عندما وصل الدهانون، كان سايمون يغطي الأشياء الثابتة بالبلاستيك، كما كانت هولي تفرش الأرض بالقماش. وكان سايمون قد ازاح الثلاجة القديمة الضخمة من مكانها ما مكّن جايمي من الدخول إلى خلفها لكي تغطي أجهزتها، وكذلك الجدار، بورق الجرائد. كما أن هولي مزقت الورق لكي تتمكن من فتح الثلاجة، إلى حد أمكنها من اخراج الطعام.

كان كل ذلك مضحكاً، ولكن التفكير في لوريلا كان كافياً لكي يجعل جايمي تصر على أسنانها، كانت المرأة من الوقاحة بحيث طلبت أن ينال دهان وإصلاح المنزل موافقتها حتى قبل أن تقدم طلباً رسمياً بالشراء.

وجاء المتعهد، فنظر حوله ثم قال: «هذا ليس صعباً. سنقوم بهذا العمل البسيط خلال ساعات قليلة.»

فنزل سايمون عن السلم وسأله: «متى ينبغي أن نزيل الورق؟»

«آه، يستحسن أن يبقى النهار بطوله، فلا يتلطخ الدهان بأي لمسة عليه قبل أن يجف تماماً، فإن بصمات الأصابع لا تزول أبداً.»

قالت هولي: «يا لها من فكرة. يمكننا جميعاً أن نضع لمساتنا التاريخية كأن نكتب أسماءنا عليه.»

كانت أصابع جايمي مسودة بحبر الجرائد، كما كان جلدها جافاً، فتقدمت بحركة آلية إلى حوض الغسيل لكي

تغسل يديها، وعند ذلك أدركت أن هولي كانت قد غطته كله بالجرائد. وقالت للمتعهد: «إذا كنت بحاجة إليّ، ستجدني في المكتبة... بعد أن أغسل يديّ.»

تبعها سايمون إلى الردهة وهو يقول: «ليس لدي أي خطة بالنسبة للغد، ولهذا فسأنزع كل الورق بعد أن يجف الدهان.»

«أحقاً؟ هذا سيساعدنا كثيراً، ثم إن لديّ قائمة بأشياء عليّ أن أقوم بها أثناء العطلة الأسبوعية، ولا أجرؤ على القيام بها عصر هذا اليوم لأن الدهّان إذا كان لديه أي سؤال ولم أكن أنا موجودة لأجيبه عليه، فقد يترك المكان ويخرج.» وابتسمت له: «شكراً يا سايمون. ما كان بإمكاني إنجاز كل هذا العمل من دونك.»

«تذكري هذا، فأنا أحياناً أتسكع قريباً من هنا فأكون بذلك تحت الطلب.»

نظر في عينيها طويلاً، فبادلته نظراته... لشدّ ما اشتاقت إليه أثناء ذلك اليومين الطويلين.

وإذا بباب يفتح في الطابق العلوي، وصوت يصيح فابتعدت عن سايمون شاعرة بخيبة أمل وبفراغ مؤلم في داخلها.

لم يبتعد سايمون، بل نظر إلى أعلى حيث تعالى الصياح وهو يقول: «يبدو أن هناك من هو غير راضٍ عن العمل.»

«إنها غلوريا، مصممة الديكور، فهذا هو طبعها.»

«هل كل العمل سينتهي في وقت واحد؟»

فتنهدت قائلة: «طبعاً.»

ابتسم سايمون ببطء: «لا يبدو عليك الاقتناع.»

«آه، لقد كانت بدايتنا بطيئة. ولكن منزل الأحلام سيُفتح حسب البرنامج، مع حفلة ساهرة، وذلك بعد أسبوع.»

«إذن علي ألا أعطلك عن عملك، أليس كذلك؟»

«إذا كنت تبحث عن شيء تعمله...»

«كلا، لست كذلك.»

«حسناً، فالفائدة تعود لك كلما كان المنزل جاهزاً للعرض.»

فقال: «طبعاً، أعلم ذلك ولكن الآن وقد جاء ذكر ذلك، إنك لم تخبريني بأنك سجلت المنزل للبيع.»

فعبست قائلة: «أحقاً لم أفعل؟ ولكنني واثقة من أنني فعلت.» وذكّرها ذلك بتلك الزائرة التي لم تكن تتوقعها، فقالت له: «سايمون، إنك فهمت السبب في أنني لم أدع لوريلا تجول في المنزل، أليس كذلك؟»

«نعم، ولكن كان يسرني لو سمحت لها بذلك فقد يسلينا هذا.»

جاءت مصممة الديكور وهي تصرخ قائلة: «إنك لن تصدقي ما فعله ذلك المعتوه الآن، يا جايمي.»

تسلل سايمون خارجاً بينما كانت هي تحاول أن تهدىء من غضب غلوريا. وأخيراً تمكنت جايمي من أن تهرب منها لكي تغسل الحبر عن يديها، ثم تركت رسالة لكريستا بلين في آلة الجواب في هاتف كريستا.

ثم حوّلت انتباهها إلى المكتبة، وأخذت تضع الستائر المعدنية، وكانت قد اختارت نوعاً منها لا يكاد يبدو للعيان عندما يكون مفتوحاً أثناء النهار، ولكنه أثناء الليل يصد الظلمة والبرد، باعثاً الدفء والراحة بحيث يصبح تجمع الأسرة في تلك الغرفة متعة لأي أسرة تجتمع فيها...

الأسرة المثالية... إنها تكاد تسمع صوت غريتا وهي تتحدث عنها ضاحكة وهي تتصور كيف سيعيشون ويعملون ويحبون بعضهم بعضاً، ويلعبون في منزلها... عالمة بأن الأمر لا يعدو أن يكون تسلية... ولكن، أتراها كانت تحس، حتى وهي تسلي نفسها بهذه التصورات، أن الوقت كان أقصر من توقعات أي شخص؟

والآن، أيّ نوع من الأسر سيعيش في هذا المنزل؟ أم هل ستكون هناك أسرة حقاً؟

أرغمت جايمي نفسها على التفكير في خطة لوريلا بالنسبة لمنزل تشادويك هذا، في تحويله إلى مركز عمل وليس بيتاً ما جعل الألم يعتصر قلبها. ولكن كان عليها أن تعترف بعقلانية هذا الأمر. إذ ليس في مدينة سمرسيت عائلات كثيرة لديها المال الكافي لشراء وصيانة منزل بهذا الحجم، ولم تكن المسألة تتعلق بالمال فقط، ولكن بالذوق أيضاً، إذ أن الكثيرين من الناس ممن يستطيعون شراء هذا المنزل، يفضلون جيراناً جدد في ضاحية المدينة.

كما أن فتح مشرب للشاي ليس بالأمر السيء، كذلك. فمدينة سمرسيت تنمو، ولكنها حالياً لم يكن فيها سوى مطعم جيد واحد. فمشرب شاي قريب من وسط المدينة، يحتوي على موقف للسيارات وجوّ عائلي، يمكن أن يسدّ فراغاً، إن هذا قد يجذب اصحاب النوادي، حفلات زفاف، حفلات من كل نوع... ما يشكل أساساً جيداً لعمل جيد.

لم تستطع جايمي أن تتصور لوريلا، بشخصيتها تلك غير المتزنة، مضيفة ناجحة في مشرب شاي، ولكن لا دخل لذلك بهذا المنزل فإذا كانت المرأة تلك من الحكمة

بحيث توظف في المكان موظفة للاستقبال فقد ينجح هذا العمل.

وحاولت أن تصدّ دموعاً كادت تسيل من عينيها وهي تذكر نفسها بأن من الحماقة أن نفترض بأن الأمور ستنتهي بهذا الشكل. ذلك أن لوريلا لم تذكر ثمناً، ولهذا لم يكن هناك سبيل لأخذ الأمور بجدية. وقد لا ترغب في دفع الثمن الذي قال المخمّن ان المنزل يستحقه.

ثم هنالك هولي أيضاً. وقد كلمت المرأة لوريلا في الواقع، بحدة. أترى ذلك مجرد غيظ من طلب تلك المرأة فرض ذوقها على لون الدهان؟ أم أن هولي كان لديها شعور بالرغبة في امتلاك المنزل؟

وعلى كل حال، من الحماقة أن تسارع جايمي إلى النتائج قبل أن يكون هناك عرض رسمي لشراء المنزل. إن عليها فقط أن تتأكد من أن المنزل يبدو في أحسن حالاته، ثم تترك كل شيء آخر لكريستا. وعندما يبدأ العرض، لا بد من أن يرى أحد من الزائرين مبلغ جمال المنزل هذا.

ونقلت السلم إلى حيث رفوف الكتب، حقاً إن سايمون قد صف الكتب بشكل منتظم أنيق، ولكن جايمي كانت تفضل فسحات بين الكتب يمكن أن يوضع فيها تحفة هنا وصورة هناك.

ما زال عليها أن تنظم المكتب، وكانت وجدت في أحد الأدراج محبرة نحاسية من العهد الفيكتوري، وستحضر من محلها هي بعض الأوراق المدموغة... ثم تنهي الرفوف. وعندما ينتهي كل هذا العمل، ويعاد الأثاث الذي أعيد تنجيده، ستكون المكتبة قد اكتملت.

تساءلت عما سيكون رأي سايمون في المكتبة عندما تكتمل. لقد كان سألها منذ أيام عن نوع الجوّ الذي تتخيّله لأجله، فلم تهتم بالإجابة على هذا السؤال. فهي لم تكن تعرف سايمون عندما وضعت تصميم المكتبة، ولكن بين كل غرف منزل الأحلام هذا، كانت هذه الغرفة هي الوحيدة التي تخيلته جالساً فيها، ربما لأنها هي التي كانا أمضيا فيها الساعة الأولى من تعارفهما، معاً... فهي تراه يستعمل هذه الغرفة، يكتب فيها رسائله على المكتب، ثم يكوّم الكتب على الرفوف بشكل عشوائي...

أطلت هولي برأسها: «آه، أنت هنا؟ إن غلوريا تريد أن تعلم أين ستضع كل الأشياء التي في خزائن غرفة الطعام، فهي بحاجة إلى الطقم الصيني وأيضاً البلوري.»

تنهدت جايمي: «هل الآن فقط خطر ببالها أن تتفقد ذلك؟ إن الطريقة التي كومت بها كل ذلك الزجاج يجعل من عدم تكسّرها أمراً غريباً.»

«أعلم ذلك، فالمرأة هذه هي مصدر للإزعاج...»

«إنها كلها الآن في غرفة البرج، ولكنني لا أدري أيّ الصناديق تحتويها. وقد يعرف سايمون ذلك، أو روب إذا كان هنا.»

توارت هولي مرة أخرى بينما فتحت جايمي الدرج الأسفل من مكتب غريتا وأخرجت صورة فوتوغرافية أخذت تنظر إليها، كانت تمثل عروسين قديمين. العريس يجلس مستقيماً على كرسي منجد بقماش مقصب عالي الظهر بينما العروس تقف بجانبه مستقيمة صارمة الملامح. إنه تماماً النوع الذي يتعاطف معه الزوجان المثاليان، ثم

وضعت الصورة على الرف. ربما العريس هو جد سايمون، كما رأت من ذقنه. وتساءلت عما إذا كان هذا هو أول أو ثاني زواج له، أترى العروس هي جدة سايمون أم هي الزوجة الثانية؟

كان غريباً أنها لم تناقش مع سايمون مسألة الزفاف... ويا لها من فكرة نيّرة... عرس قديم الطراز، وقوس الزينة في الصالة حيث الاحتفال، والشرائط اللامعة على طول الممر ودرابزين السلالم.

وابتسمت لنفسها. إن لديهما كل شيء، ولكن الأفكار الجديدة لا تتوقف وتمتمت تقول: «يجب أن أذهب للطبيب لفحص رأسي.»

«ربما قد فات الأوان لذلك.» وكان هذا صوت سايمون الذي كان دخل مغلقاً الباب خلفه.

تسارعت خفقات قلب جايمي. ولكنه لم يتوجه نحوها مباشرة، وإنما عبر الغرفة ليغوص في المقعد الذي بجانب النافذة. وكان شعره أشعث وكأنه كان يسير في مهب الرياح.

«ماذا كنت تفعل؟»

«كنت أطوف حول المرج، أظن ان وقتاً طويلاً قد مضى منذ قامت غريتا بشيء نحو المرج، أليس كذلك؟»

«حسناً، إنها مساحة واسعة، ولم يكن لديها طاقة كافية كما لو كانت فتيّة.» لم تتوقف جايمي عن تنظيم الصور. ورأت النظرة المتزنة التي رمقها بها وتوقعت شيئاً آخر يقوله عن حالة المنزل السيئة. ولكنه قال بدلاً من ذلك: «إنني ذاهب إلى المقهى، هل تحبين المجيء معي؟»

فترددت يتجاذبها الرغبة والواجب: «آسفة، يا سايمون ليس لديّ وقت في الحقيقة.»

وعادت تبحث في أعماق درج المكتب ثم أخرجت صورة أخرى مؤطرة: «ربما عليّ أن أفحص المطبخ لأرى كيف تسير الأمور.»

«لقد قمت بذلك لتوّي وهو لا يعجبني.» ثم نهض والتقط الصورة المؤطرة التي كانت وضعتها لتوّها على الرف، وسألها: «لماذا تستعملين هذه الصورة؟»

لم تكن جايمي قد انتبهت إلى الصورة، وإنما اختارتها لاطارها المزخرف بالذهب والذي يتلاءم بشكل جميل مع لون الرفوف القاتم. ورأتها الآن صورة لسايمون نفسه. لم تتذكر أن غريتا قد أرتها إياها من قبل لتستعملها في المعرض.

أجابته: «لأن الصور العائلية تعطي الانطباع العائلي الحقيقي. ما الذي كنت تفعله في هذه الصورة، على كل حال؟ هل كنت في رحلة في النهر؟»

فأومأ قائلاً: «نعم، في نهر الأفعى.»

ارتجفت وقالت: «ليس هذا رأيي في قضاء عطلة.»

«كانت أكثر الاجازات التي أخذتها إثارة ومشقة وهذا ما جعلها رحلة رائعة حقاً.»

«إذا كان هذا رأيك.»

«ما هي فكرتك عن الإجازة التي تحفظ في الذاكرة، يا جايمي؟»

ففكرت قليلاً، ثم قالت: «الآن، أنا مستعدة للذهاب في نزهة بحرية حيث أستلقي على سطح المركب وبجانبي عدد من الكتب وكوب من الشاي المثلج هناك من يعيد ملأه لأجلي

كلما فرغ. هل تمانع إذا استعملت في المعرض بعض هذه الصور، يا سايمون؟»

«وهل يهمك رأيي؟»

«نعم، إذ سأعيدها إليك، ثم أبحث عن صور عائلية لأناس آخرين لوضعها في المعرض.»

«إذن، فأنا أوفر عليك ذلك الإزعاج.»

«حسناً، لا تقلق من ضياعها. إنني أعلم أنك وضعتها على قائمة الأشياء التي تريد الاحتفاظ بها، ولكنها ستكون في أمان هنا، وسأحرص أنا على إعادتها إليك فيما بعد.»

أخذ ينظر إليها وهي تختار صوراً أخرى، ثم قال: «يبدو أنك نسيت شيئاً.»

تفقدت الصور ثم التفتت إليه تسأله: «وما هو؟»

«لا يوجد هنا صور تمثل المرأة المثالية.»

«آه، الحق معك. لم ألاحظ ذلك ربما هي الشخص التي كانت تحمل الكاميرا على الدوام.» ووضعت على الرف صورة أخرى، وكانت لسايمون مع امرأة كبيرة السن... ربما أمه، لأنها كانت تشبه غريتا قليلاً، وكانا جالسين في حديقة تحتوي أنواع النباتات المختلفة ومنها الأضاليا.

سألته: «هل كنت تقيم دوماً في أتلانتا؟»

فهز رأسه: «في الثلاث سنوات الأخيرة فقط.»

«وأين كنت من قبل؟»

«أقمت فترة في أريزونا، وكولورادو وعدة سنوات في كاليفورنيا.» سكت لحظة أخذ ينظم أثناءها عدة كتب على الرف، ثم عاد يقول: «جايمي، لقد ظننتك ستنتظرين قليلاً قبل أن تسجلي المنزل للبيع.»

«كنت كذلك فعلاً، ثم أدركت أنني كنت قلقة للاشيء، حتى ولو افترضنا أن الشاري الجيد تقدم للشراء...»

وإذ بانت عليه الحيرة، قالت: «أعني شخصاً يقع يعجب بالمنزل من أول نظرة، ولديه المال الكافي.»

«أتذكر أننا سبق وتكلمنا عن ذلك، ولكن...»

«حتى في تلك الأثناء، سيأخذ الأمر أسابيع للتقييم الرسمي والبحث عن حق الملكية وإنجاز كل الأوراق الرسمية. ولا شك أن العرض سيكون قد انتهى مع نهاية كل هذه الاجراءات. وهكذا قررت أن التأجيل هو شيء غير عملي، ويعيق البيع.»

أخذ سايمون يتخلل شعره بأصابعه فيزيده تشعثاً: «وهكذا سجلت البيت.»

أومأت قائلة: «أظن النتيجة ستسرّك، كما أن كريستا هي أفضل سمسارة عقارات في المدينة، ومتفهمة جداً للمتطلبات الشخصية. وستكون حريصة في عرض المنزل أثناء عرضه على الزائرين ولكننا على الأقل، في حالة وجود شاري للمنزل، يمكننا أن نتناقش.»

«فهمت، يا جايمي.»

أطلت هولي تقول: «كريستا على الهاتف.»

تقدمت جايمي نحو المكتب قائلة: «آسفة، يا سايمون فقد كنت طلبت منها أن تتصل بي.»

فلوّح لها بيده، وعاد إلى كرسيه قرب النافذة.

قالت كريستا: «مرحباً، لا بد أنك كنت تقرأين أفكاري عندما تركت خبراً في آلة التسجيل الهاتفية بأنك تريدين أن أتصل بك، لقد حصلت على طلب شراء للمنزل. متى يمكنني إحضاره لك لتريه؟»

قالت جايمي بفتور: «هكذا بسرعة؟» إن هذا المستند يمثل ابتداء المناقشات، وعلى الأغلب إذا كان الثمن جيداً وبقية الشروط مقبولة، فهذا لا يحتاج سوى توقيع جايمي لكي يصبح عقداً قانونياً، ومهما يكن ما كانت قالته لتوّها لسايمون، فهي لم تكن مستعدة لهذا.

ثم تنفست بعمق وتمالكت نفسها، ما حدث هو أمر واضح، ولا حاجة للخوف.

قالت جايمي: «ظننت أن لوريلا قد تسرعت حين قالت إنها لم تعد تهتم بشراء المنزل، ولكنني لم أتوقع أن تسرع في التصرف عكس ذلك.»

«لوريلا! ما الذي تتحدثين عنه؟»

«أليس عرض الشراء منها؟ لقد كانت قالت إنك أخبرتها عن المنزل.»

«نعم، لقد كنت ذكرت ذلك أمامها، وكانت هذه في الواقع، زلة لسان. ولكن كيف عرفت أنت ذلك؟»

حدثتها جايمي بما حصل مع لوريلا.

تأوهت كريستا: «أنا آسفة. لقد رفضت ترتيب أمر رؤيتها للمنزل لأنني بصراحة، أشك في قدرتها على شرائه. ولكنني قطعاً لم أرسلها لتجول في أنحاء المنزل بمفردها.»

«كنت أعلم أنك لا تفعلين ذلك، ولكن إذا لم يكن عرض الشراء من لوريلا، فممن هو إذن؟»

«لا أستطيع في الحقيقة أن أتحدث عن كل ذلك في الهاتف، يا جايمي فالقانون يقول إن الراغب بالشراء يجب أن يتقدم لذلك شخصياً، لقد حصلت على موعد في هذه

اللحظة، ولكن هل بإمكاني القدوم إليك للتحدث معاً بعد ساعتين؟»

وافقت جايمي ثم وضعت السماعة وهي تقول محاولة أن تضحك: «حسناً، لقد حدث الأمر بسرعة، الآن وقد أصبح عليّ أن أواجه الشاري المرتقب، عليّ أن أعترف بأنني لم أكن أتوقع أن يتقدم شخص للشراء بهذه السرعة.»

لم يبد السرور على وجه سايمون وهو يقول: «جايمي، إنك مرهقة للغاية ومشغولة وأنت بحاجة ماسة إلى الراحة.»

«هذا صحيح، ولكن ماذا تراني فاعلة بهذا الشأن؟»

«أتركي هذا لي. دعيني أهتم بكريستا وبعرض الشراء هذا.»

فصعقت: «ولكنني لا أستطيع، فأنا منفذة الوصية ولهذا لا أستطيع أن أتخلى عن المسؤولية.»

قال برقة: «كلا بالطبع. ولكن بإمكاني التخلص من الشيء غير المقبول.»

«أتعني إذا كان الثمن قليلاً؟»

«تماماً، فلماذا تضيعين وقتك بشيء قد لا يكون معقولاً؟»

كان هذا كلاماً منطقياً، ولم يكن الأمر هو أنها لم تكن تثق بصحة حكم سايمون، خصوصاً وأن المال ماله هو. وهو لا يستطيع الموافقة على أي شيء دون موافقتها، سألته: «إذا كان لديك أيّ شك، فهل تسألني؟»

نظر إليها فقط رافعاً حاجبه متسائلاً.

حدثت نفسها بمبلغ غباء سؤالها هذا، فمن الطبيعي أن يسألها. وأخيراً قالت: «حسناً، بإمكاني أن أستغل كل عون أحصل عليه. لقد قالت كريستا انها ستكون هنا بعد ساعتين.»

«سأذهب إذن لأشرب قهوتي الآن. أتريدينني أن أحضر إليك شيئاً؟»

فهزت رأسها نفياً. وقف عند الباب وقال: «بالمناسبة، كنت ذكرت عن إقامة حفلة ليلية، ماذا يحدث؟»

«لا شيء غير عادي، في الحقيقة. إنها عذر فقط لبيع تذاكر غالية جداً. وستكون أنت موجوداً، أليس كذلك؟ حيث انك أنت المضيف الرسمي لعدم وجود غريتا...» وعضت شفتها وهي تتصور كم كانت غريتا ستستمتع بتلك الحفلة، وحاولت أن تبتسم: «إننا لن نجعلك تدفع ثمن التذكرة، طبعاً.»

«آه، لقد ارتحت الآن.»

ساعدها المزاح على وضع أحزانها جانباً. «حسناً، ستحصل على نصف القيمة على كل حال. فقد بعنا التذاكر مبكراً، وهي تتضمن حفلتين وبهذا احضرنا مرطبات وحلوى لليلة الافتتاح.»

«فهمت.»

نظرت إليه بفضول: «تبدو عليك خيبة الأمل.»

هز كتفيه: «إن حفلة ليلية تفسد خططي. ظننت أنها لو كانت حفلة بسيطة فقط، لدعوت والديك بعدها إلى العشاء تعبيراً عن شكري لهما لاستضافتهما لي. لا أظنك أغفلت بيعهما تذكرتين.»

«في الحقيقة كانت التذكرتان هدية مني في ذكرى زواجهما، ولكن الحق معك في احضارهما إلى الحفلة، ربما بإمكانك أخذهما إلى العشاء في ليلة أخرى.»

«لم أكن مصمماً على دعوتهما إلى مطعم في الخارج.

فقد ظننت أن تناول العشاء هنا هو أبعث على الانشراح.»

فقالت بذهن شارد: «ربما تصاب غلوريا بنوبة قلبية لو أنك استعملت طقم الصيني عندها.»

«لماذا يصيبها ذلك؟ فالمنزل منزلي، حالياً على الأقل.»

عندما خرج، وقفت تنظر إلى الصور على الرفوف بزهو، فقد بدت لها وكأنها أضيفت عبر السنين تبعاً لنمو الأسرة وتطورها، الأسرة المثالية... من سوء الحظ أن ليس لديها صور لأطفال وأولاد صغار. ربما على هولي أن تحضر بعض صور أولادها، وقد تجد جايمي في ألبوم الصور عندها شيئاً مناسباً يمثل المرأة المثالية، فلديها آلاف من صور صديقاتها رغم أنها تفضل التفسير الذي قدمته لسايمون. ربما من الأفضل أن تدع المرأة المثالية غامضة. وبهذا، كل امرأة تجول في أنحاء المنزل يمكن أن تعتبر نفسها هي المرأة المثالية، متخيلة أن سايمون هو رجلها المثالي...

لم يكن هذا بالأمر الصعب، في رأيها فليس عليها أن تغمض عينيها لتتخيل سايمون في هذا المنزل وفي هذه الغرفة، وتصور سايمون وكأنه الرجل المهم في حياتها...

لكنها ما لبثت أن سألت نفسها عما إذا كان الوقت قد حان للتوقف عن هذه التخيلات. ولكن قد يكون حتى هذا غير مبالغ فيه. ربما لأنها كانت تحبه.

* * *

كان الحق مع سايمون، ذلك أن جايمي عندما فتحت باب المطبخ، كادت رائحة الدهان تصعقها. ولكن العمل قد انتهى وأخذ العمال يحزمون معداتهم.

بدت الخزائن زاهية متألقة مستحقة المال والوقت اللذين أنفقا عليها، ولم تستطع أن تنتظر لترى كيف ستبدو الغرفة عندما يزال الورق. هل سيضفي اللون الأزرق دفئاً وراحة في جو الغرفة؟ كم كانت تتمنى لو كانت غريتا موجودة لترى هذا...

قال المتعهد ينصحها: «الأفضل أن تضعي كمامة أو تخرجي من هنا، فليس هناك سبب يجعلك تستنشقين هذه الروائح.»

«أريد فقط أن ألقي نظرة، لقد قلت ان ننتظر أربع وعشرين ساعة قبل أن نزيل الورق، اليس كذلك؟»

«سيكون ذلك أكثر أماناً، ولكن قد يكون من الأفضل أن تنزعي الورق عن الثلاجة الآن، فهذه الأجهزة القديمة تولّد الكثير من الحرارة، وأنت لا تريدين أن يشعل المحرك ورق الجرائد فيحرق المنزل بكامله.»

أخذت جايمي الكمامة التي ناولها إياها، وما أن خرج المتعهد، حتى أخذت تنزع ورق الجرائد عن الثلاجة. كان العمل بطيئاً، ومع أن الدهان على الورق كان جافاً، إلا أنه ترك أثراً على أصابعها وكان إبعاده عن ملابسها يستلزم مهارة فائقة.

تمتمت: «كان عليّ أن أترك هذه المهمة لسايمون ليقوم بها. فما دام تطوّع لذلك، كان عليّ أن أدعه يقوم به.»

أخذت تنزع الورق وتطويه ثم تلقي به في القمامة وعندما انتهت من نزع كل الورق الذي يحيط بالثلاجة، جذبت كرسياً وقفت عليه وأخذت تنزع الجريدة التي تغطي السطح.

لم تكن واثقة من السبب الذي جعل العنوان يلفت نظرها،

فقد كانت نادراً ما تهتم بقسم الأعمال في جريدة شيكاغو، كما أنها في الفترة الأخيرة لم تكن تجد وقتاً لقراءتها. وفي هذه الحالة، ربما كان اسم بيتزا هي التي لفتت انتباهها، هذا إلى أن وقت الغداء قد مرّ منذ وقت طويل وكانت قد ابتدأت تندم على رفضها دعوته لتناول الغداء. ذلك أن لديهم أحسن بيتزا في سمرسيت.

ملك البيتزا يبيع امبراطوريته. هذا ما قاله عنوان المقالة في الجريدة. وأكملت القراءة فقط لتعذب نفسها بالتفكير في الجبن الساخن والبندورة مع التوابل و...

ثم وضعت مرفقيها على الجريدة، غير مبالية بالدهان الذي بلل كميها، ثم قرأت بقية القصة... وكلها عن سايمون نيكولز، والمائة صالة بيتزا التي أنشأها من مطعم صغير واحد، والثروة التي جمعها في الشهر الماضي فقط عندما باع سلسلة محلاته جميعاً.

الفصل الثامن

كان سايمون عاطلاً عن العمل... لا بأس ولكن هذا كان باختياره. إنه لم يُطرد من عمله أو أنه لم يكن يجد عملاً.

كان قد أخبرها أن محل البيتزا قد بيع، وصاحبه الجديد لم يعد بحاجة إليه. وهذا كان صحيحاً بالمعنى الحرفي، ولكن الطريقة التي قالها بها قد أحالت الواقع البسيط إلى... ربما ليس كذباً، فهذا وصف قاسٍ، إنما كوّنت جملته تلك قصداً بغرض التضليل.

وهذا لم يكن المثل الوحيد. فعندما سأله والدها عن عمله في البيتزا، تجنب سايمون الجواب، والآن فقط حين أخذت جايمي تفكر في ذلك، أدركت قلة ما قاله عن الحقيقة.

كما أنه كان حذراً عند ذكر المال، فهو لم يقل إنه لا يستطيع دفع أجرة الفندق، وإنما فقط أعلن رغبته في الإقامة في منزل تشادويك وفسرت جايمي ذلك من الناحية المالية، فيا لحماقتها وهي تشعر بالعطف عليه واللهفة إلى استقرار أمر الإرث لأجله ما جعلها تتجاهل الشواهد التي أمام عينيها... السيارة الصغيرة المكشوفة، الثياب الغالية، عدم ظهور أي حاجة إلى المال.

لقد حصلت له فرص كثيرة يمكنه فيها أن يوضح كل شيء، ولكنه لم يفعل، إنه لم يكذب بالضبط، ولكن هذه الحقيقة لم تفده شيئاً بالنسبة إلى جايمي، لأنه تعمّد تضليلها، ما يجعل ذلك مساوياً للكذب في نتيجته.

لا عجب إذ وقف جامداً في المطبخ محدّقاً في الجريدة هذه. وكانت جايمي قد ظنت حينذاك أنه كان مستاءً لرفضها السماح للوريلا بالتجوال في المنزل. ولكن ذلك لم يكن هو السبب على الإطلاق، وإنما رؤيته ما هو مكتوب فيها والذي فوجيء به، لا بد أنه كان يقلّب الأمر في ذهنه باحثاً عن عذر لإبعاده عن الأنظار.

وهذا يفسر إجفاله عندما أخذت منه جايمي الجريدة وغطت بها سطح الثلاجة، وهذا هو السبب في تبرعه بالقدوم لرفع كل الأوراق بنفسه عندما يحين الوقت لذلك. إنها تدرك الآن مبلغ ما قام به من جهد لكي يبقي سره خفياً.

لقد كانت صدّقت فعلاً أن تلك الشكوك التي ثارت بينهما يوم قراءة الوصية قد تلاشت عندما ابتدأت الصداقة تنمو بينهما. ولكن ما كان بينهما لم يمثل أي معنى للصداقة الحقيقة.

واشتعل في نفسها الغضب. شعرت بأنه استغلها.

لقد كانت اتخذته صديقاً، ولم يبدر منها قط ما يدفع سايمون إلى الشك في صدقها، وكان هذا جزاؤها منه. حسناً، إن الأصدقاء لا يعاملون بعضهم بعضاً بهذا الشكل من الكذب والتكتم والتحدث إليهم بأنصاف الحقائق.

أما عما كانت تحلم به بأن يكون يوماً ما، بالنسبة إليها، أكثر من صديق... حسناً، إنها ستكون حمقاء لو اعتقدت أن بإمكانها أن تحب رجلاً يخفي نفسه بهذا الشكل المطلق، رجلاً يعاملها كما عاملها سايمون.

* * *

كانت جايمي ما تزال هناك عندما دخلت كريستا من الباب

الخلفي. وكان الدهانون قد مزقوا الورق عن الباب إلى الحد الذي مكنهم من الخروج، أطلت كريستا برأسها وعبست: «ما الذي تفعلينه هنا؟ يا لها من رائحة.» وأغلقت الباب خلفها وهي تتابع: «أرجو المعذرة إذا كنت مبكرة قليلاً.»

قالت جايمي وهي تمزق قطعة أخرى من الورق عن الثلاجة: «هذا غير مهم بالنسبة إليّ لأن سايمون هو...» وسكتت فجأة إن سايمون هو الذي سينظر في أمر عرض الشراء... لقد كادت تقول هذا. فقد كان عرض أن يساعدها، أو هذا ما قاله، على الأقل. ولكن هل بإمكانها أن تثق به بالنسبة لذلك أيضاً؟

سألتها كريستا: «سايمون ماذا؟»

«دعك من ذلك سأنظر أنا في الأمر.»

«هنا؟ أتعلمين أن الدهان يلطخك تماماً، يا جايمي؟» ناولتها كريستا مغلقاً. «سأقول شيئاً واحداً وهو أنني سأبذل جهدي في اختصار الاجراءات القانونية.»

قالت جايمي وهي تنظر في الورقة القانونية: «من هو الذي قدم عرض شراء هذا المكان، على كل حال؟ لم يدخل أحد إلى هذا المكان ما عدا أعضاء شركة الخدمات المتحدة. أتراه واحداً منهم؟»

«كلا، بل هو شخص كان يرغب فيه منذ وقت طويل. وقبل أن تنظري إلى السطر الأخير، يا جايمي تذكري أنني متعهدة قانونياً بأن أعطيك أي عرض مهما كان الثمن المعروض وسخافة الشروط، أنت لست مرغمة على القبول، طبعاً ولكن عليّ أن أريك إياه.»

أخذت جايمي تفكر في الاسم الموجود على العقد. كان

الرجل صاحب شركة نوكس والتي هي أشهر شركة بناء في منطقة سمرسيت.

فقالت: «المفروض أن يبني لنفسه منزلاً لا أن يشتري بيتاً قديماً.» نظرت إلى الثمن المعروض، كان لا يكاد يبلغ ثلث الثمن المطلوب للمنزل، فتابعت تقول: «إنني أرى رخص الثمن ولكن ماذا كنت تعنين بالشروط السخيفة؟»

بان الحرج على وجه كريستا وقالت: «لم يكن قولي هذا جاداً.»

طوت جايمي العقد ونظرت إلى كريستا بارتياب: «أما زلت تعملين لمصلحتي، أم أنت غيّرت تجاهك؟»

«طبعاً ما زلت أعمل لمصلحتك، ولكن... لم أكن أريد أن أخبرك، فقد رأيت أن ليس ثمة فائدة في إثارة استيائك، لأنك لن تقبلي العرض على كل حال، أليس كذلك؟ ولكنك لن تتركيني أذهب قبل أن تعلمي، كما أظن.»

اومأت جايمي برأسها قائلة: «خصوصاً بعد كل ما قلته.»

«إنه ليس مهتماً بالمنزل بشكل خاص.»

سألتها جايمي عابسة: «ولماذا يريد شراءه إذن؟»

«إنه يريد أن يهدمه لكي يعود ويبني شققاً سكنية.»

شعرت جايمي لحظة بأن الأرض تموج تحت قدميها: «يهدم المنزل؟ كريستا لا يمكنني أن أسمح بشيء كهذا.»

قالت كريستا بسرعة: «أعرف ذلك، إنما تذكري أن هذا ليس رأيي، حتى انني لم استدعه، يا جايمي وإنما تصور أنك ستبيعين عاجلاً أم آجلاً فأراد أن يكون السباق إلى تقديم العرض، وهكذا جاء إليّ، حتى انه لا يعلم أنك سجلته للبيع.»

«هذا شيء غريب... منافٍ للعقل، لا يكاد يُصدّق...»

قالت كريستا: «لا تثوري عليّ يا جايمي، فأنا لم أستطع أن أرفض إحضار العقد إليك، ولكن كل ما عليك أن تقوليه هو كلا، فينتهي كل شيء إلا إذا أراد أن يزيد الثمن.»

فتح باب الغرفة ودخل سايمون يقول: «لقد بحثت عنك في كل مكان، كان عليّ أن أعلم أنك هنا لتشاهدي النتيجة، إنك لم تستطيعي الانتظار لكي تريه، أليس كذلك؟»

استدارت جايمي تواجهه، كان مستنداً إلى الباب حاملاً فنجان قهوة بيده، نظرت إليه بغضب جامح... يا له من محتال خداع، يبدو في أتم هدوء وكأنه لم يفعل شيئاً...

غلى الغضب في داخلها، وفقدت سيطرتها على أعصابها، ففتحت باب الثلاجة بعنف وأمسكت بأول شيء رأته، والذي كان برتقالة، ثم قذفته بها بكل قوّتها، راجية أن تكون البرتقالة تلك مليئة بالعصير لكي تتشفى بالنظر إلى عصيرها يسيل عليه.

تنحى سايمون جانباً وهو يمدّ يده يتلقى البرتقالة بيده، وهو يقول: «الرماية غير سيئة، يمكنك أن تعلّمي الصبي المثالي شيئاً عن الكرة الرخوة.»

مدّت جايمي يدها إلى الثلاجة مرة أخرى، لو كانت محظوظة لوجدت شيئاً أقسى من برتقالة.

فقال: «دقيقة واحدة.» تقدم بحذر إلى الأمام ووضع البرتقالة على مائدة المطبخ: «يمكنني أن أتكهن بأنك لا تبتسمين تحت غضبك هذا.»

فتمتمت تقول: «إنك تستحق جائزة.»

وقفت كريسا تنقل نظراتها بينهما حائرة، ثم قدمت إليه بطاقة عملها: «إنني كريستا بلين.»

صافحها سايمون وهو يقول: «كنت أريد أن أتعرف عليك، ولكنني أتذكرك الآن، فقد كنت تتحدثين مع جايمي في مباراة كرة السلة.»

ابتسمت كريستا: «لم أعرف أنك لاحظت ذلك.»

تابع سايمون يقول: «هل هذا هو السبب في أن جايمي تقذفني بهذه الأشياء؟ لأنني لم أكن هنا في الوقت المناسب لأنظر في هذا العرض؟ إنني آسف، فلندخل إلى...»

قالت جايمي: «إنك لست بحاجة إلى النظر في أيّ شيء. فقد سبق وأصدرت قراري.»

نظر إليها بثبات وهو يقول: «وما هو القرار؟»

«لقد رفضت العرض.» وتحولت تخاطب كريستا: «حتى ولو وضع الرجل الثمن الذي نطلبه، فأنا سأبقى على رفضي، فالأفضل إذن أن تخبريه بذلك الآن ووفري علينا جميعاً المراسلات والأوراق القانونية.»

رفع سايمون حاجبيه بحدة، ثم قال وهو يجلس امام المائدة: «هل من المسموح لي أن أسأل عن السبب الذي جعلك تفقدين فجأة الاهتمام بالبيع؟»

قالت وهي تدفع إليه بالعقد: «ليس هذا هو الأمر، وإنما الشروط. فأنا لا أريد أن أبيعه المنزل مهما دفع من ثمن، إنه يريد أن يهدم المنزل يا سايمون ليبني شققاً سكينة.»

«حسناً، إذا أصبح المنزل ملكه فله الحق في أن يفعل به ما يريد.»

حملقت جايمي فيه، حتى ولو لم يكن يربطه بالمنزل أي

علاقة عاطفية، فلا بد أن لديه ذوقاً فنياً يجعله يلمس جماله ويدفعه إلى الابقاء عليه، ولكن ربما ليس لديه ذلك.

فقالت بحدة: «أظنك شعرت بالسرور لأن هناك من يعتبرنا جالسين على قطعة أرض ذات قيمة.»

أمعن فيها النظر لحظة قال بعدها: «أتعلمين أنها ليست فكرة سيئة؟ بإمكاني أن أفهم وجهة نظره، فقطعة الأرض هذه هي قريبة من مركز المدينة والكلية والسوق... فإذا كان ما قاله والدك عن حاجة المدينة إلى المساكن، هو صحيح، فهذا المشروع يشكل تطويراً حسناً.»

«ألا يهمك مطلقاً ما يحدث للمنزل؟»

«إنني أتحدث من الناحية العملية عندما يباع المنزل، لا يعود لي أو لك علاقة به، إنك تعلمين أن ليس بإمكانك أن تمنعي ما سيقوم به المالك الجديد.»

«حسناً، إنني لست مرغمة على بيعه لذلك الرجل.»

«هذا صحيح، لكن حتى ولو أصريت على أن تأخذي عهداً بعدم هدم المنزل، فلن يكون في هذا أيّ ضمان بأن المنزل سينجو من ذلك على المدى الطويل. سيكون لديك كلمة الشاري فقط، وعندما ينتهي التسجيل القانوني لن يكون لك كلمة أخرى في هذا الشأن. إن بإمكان المالك الجديد أن يقسم على المحافظة على المنزل، بينما يرسل، في نفس الوقت، الآلات الجرافة لهدمه، أو يبيعه مرة أخرى لمن يهدمه.»

اغرورقت عيناها بالدموع، كان كلامه صحيحاً ومنطقياً للغاية، ولكنه لا يرى الأشياء بالعين التي تراها هي بها. فالمدينة ليست جزءاً منه كما هي جزء منها، والمنزل لم

يتجذر في قلبها، وهو لن يكون هنا ليرى النتيجة. إنه لا يهتم...

وأشعل ذلك غضبها.

لكن لم يطلب منها أحد أن تحافظ على المنزل فوظيفتها بصفتها منفذة وصية غريتا، هي أن تتأكد من أن الأملاك تنتج أعلى المكاسب للوارث، أما أن ينكسر قلبها إذ ترى هذا المنزل القديم الفخم يستحيل إلى اطلال، فليس لذلك أهمية على الاطلاق.

قالت: «إذن، فعلي أن أقبل أحسن العروض مغمضة عينيّ عن النتيجة، طالما تحصل على أكبر مبلغ ممكن من بيع المنزل، حسناً هذا ما سأفعله، ولكن هذا العرض بالذات، أنا أرفضه... فالمال المعروض ثمناً هو غير كافٍ.» أخذت العقد من يده ومزقته ثم دست القطع في يد كريستا وهي تقول: «إذا قدّم زبائنك عروضاً أفضل، فسأنظر فيها. وإذا أراد أن يدفع الثمن المطلوب، فسأقف أنا هنا وأتفرج على الجرافة.»

أخذت كريستا تنظر إلى قطع الورق في يدها ثم تنهدت: «سأخبره بذلك. وأظنني سأعود للاتصال بك خلال يومين.»

عندما خرجت، ساد الصمت في المطبخ.

تساءلت جايمي، وهي تمزق الورق عن الجدار بقرب الثلاجة، عن السبب الذي يجعله يبقى وأخيراً سألها: «هل لك أن تخبريني عما يحدث حقاً؟»

أجابت: «ألا يكفي هدم المنزل؟»

تنهد قائلاً: «جايمي، أرجوك... لماذا كنت تمزقين الورق على كل حال؟ لقد قال الدهانون ان لا يكون ذلك قبل يومين، وقلت لك بأنني أنا الذي سأنزعها عندما يحين الوقت.»

«وأنا أعرف السبب الذي جعلك تتطوع لذلك، لأنك رأيت تلك المقالة، أليس كذلك؟ تلك التي تتكلم عن ملك جورجيا للبيتزا.»

ضاقت عيناه، ولكن لم يبد عليه أي ردة فعل أخرى، ومضت لحظة ظنت فيها أنه سينكر ذلك، ولكنه قال بما يشبه الحذر: «نعم، رأيتها.»

فقالت متأملة: «مائة صالة للبيتزا. هذا كثير جداً بالنسبة لتلك الحكاية عن سماحهم لك أحياناً بإدارة آلة المحاسبة مرة كل حين... بين مسح الأرض وتنظيف الموائد، هذا إذا كنت أتذكر جيداً.»

فقال: «لقد كنت أفعل كل ذلك، نصف يوم اسبوعياً على الأقل كنت أزور أحد تلك المطاعم، فأقوم بوظيفة منتظمة، أتحدث مع الزبائن عن الطعام والخدمة. هكذا ابتدأت بالعمل في مطعم البيتزا في البداية، لقد أخذ المطعم ينتج وجبات لذيذة للغاية، ولكن الخدمة كانت سيئة تماماً وهكذا اشتريت المطعم، وما أن استقام أمره، حتى تبعه ثانٍ، وثالث... وهكذا...»

«وقبل أن تدرك ما حدث، أصبحت مائة.»

«شيء كهذا.»

«يا لها من قصة رائعة. كنت أظنك مزهواً بها، لا أن تحاول إخفاءها.» أمسكت بالجريدة الملطخة بالدهان وأخذت تمعن النظر في العنوان مرة أخرى.

«هل كنت تتوقعين مني أن أطوف على الناس حاملاً حزمة من تلك الجريدة لأريها لهم؟ وماذا لو أردت أن أخفي تلك الجريدة؟ إن لديّ أسبابي التي دفعتني إلى ذلك.»

«آه، كم أنا متلهفة لسماعها.»

فقال ببرودة: «يبدو ذلك، ولكن إذا كنت لا تستطيعين معرفتها بنفسك، فلا أرى أيّ فائدة من الشرح.»

كبتت اتهاماً حاداً أوشكت أن توجهه إليه، إن الصراخ في وجهه لن يفيدها بشيء، إذ يبدو أن سايمون لا يرى نفسه مديناً لها بأي جواب. إنها حماقتها فقط التي جعلتها تظن أن هناك تقارباً متنامياً بينهما، صداقة متطورة... أو أكثر، والذي كان برّده انعدام ثقته بها، قالت بلهجة لاذعة: «من سوء حظك أن الدهانين لم يكونوا مهملين.»

فقال: «هذا صحيح. كان يمكن لذلك أن يوفر علينا بعض الانزعاج، تباً لذلك جايمي، إن...»

«آه، ليس عليك أن توضح لي شيئاً، أكاد أموت اشمئزازاً لكوني الوحيدة التي كنت بهذه الحماقة. إذا كنت تريد أن تكون رجلاً غامضاً يا سايمون، فلماذا تتسكع في سمرسيت؟ أم لعلك نسيت أن أحداً لم يطلب منك المجيء إلى هنا، كما لم يطلب أحد منك البقاء.»

«ألا ترين أن الأمر سيبدو مستهجناً إذا أنا رحلت الآن؟»

«ومن يهتم لذلك؟» أدارت ظهرها إليه وأخذت تنزع شريطة من الورق بأظفرها. «إذا سألك أحد فأخبره فقط بأنك عائد إلى عملك في مطعم البيتزا.»

فقال برقة: «لا يمكنني ذلك، فقد وقعت على فقرة في عقد البيع تنص بعدم التنافس. وهذا لا يهمني... لأنني بعد أن زاولت عمل البيتزا مرة، لا أتصور نفسي عائداً إليها مرة أخرى.»

«آه، نعم لقد تذكرت قولك شيئاً عن سرعة ضجرك من عملك.»

«قلت إنني أحب التجارب.»

«آه، هل كان كذلك؟ إنني واثقة من أن هناك فرصاً رائعة في مكان ما في العالم لملك جورجيا للبيتزا.»

«أتعنين مكاناً غير سمرسيت؟»

فقالت بلهجة التهنئة: «والآن بعد أن فهمت ذلك، لا يهمني ما ستفعل، يا سايمون إنني فقط سأنهي عملي على أفضل وجه أستطيعه وذلك بالنسبة إلى بيع المنزل والأملاك معاً، فلماذا إذن لا ترحل من هنا لأستطيع العمل بسلام؟»

لم يجب، وخرج بخفة إلى درجة لم تسمعه فيها وهو يخرج.

فرغت جايمي من إزالة ما على الثلاجة من ورق، ولكن رائحة الدهان كانت من القوة بحيث منعتها من الاستمرار، على الأقل جعلت الغازات المتصاعدة من الدهان، عذراً في سيل دموعها والصداع الذي تشعر به.

* * *

لم تر جايمي سايمون أثناء عطلة الأسبوع، أتراه ترك سمرسيت كلياً؟ لقد بقيت طبعاً، بعيدة عن المنزل قدر إمكانها، كي لا تلتقي به.

عندما حل يوم الاثنين، كان ضغط العمل قد ازداد. كان لديها ثلاث غرف عليها أن تنجزها، ولم تستطع أن تعمل وأعصابها مضطربة، إن عليها أن تمضي أكثر أيام الأسبوع في منزل تشادويك ولكن لن يكون بإمكانها التركيز إذا كانت ستتساءل طوال الوقت عما إذا كان يمكن أن يدخل سايمون فجأة، وبدا وكأنه وحده الذي يحتل أفكارها. عندما كانت تنظر إلى الدهان، كانت تتذكره وهو يطلب منها

أن ترسل إليه العيّنات. وعندما نظرت إلى الورق المخطط الذي كان سيؤخذ إلى غرفة الضيوف، فكرت في عصر ذلك اليوم الذي أخذا يتحدثان فيه عن تصورها لشكل تلك الغرفة. كان مجرد ذهابها إلى المكتبة يشعرها بالألم، إذ كانت اللمسات النهائية التي قامت بها هنا، قد أنجزتها متوخية ما يسرّ سايمون، لقد نحّت جانباً الرجل المثالي وقامت بكل شيء في المكتبة لأجل سايمون.

أخيراً، ابتلعت كبرياءها وسألت عنه روب، والذي كان يعيد أثاث غرفة الجلوس الوردي إلى مكانه في الغرفة الأمامية بعد أن اكتملت.

نظر هو إليها باستغراب بالغ وقال: «لقد رحل سايمون إلى مدينة سانت لويس أمس.»

«هل بقي هناك أم رحل بالطائرة إلى مكان آخر؟»

«وأن لي أن أعرف؟»

«هل قال إن كان سيعود؟»

فعبس قائلاً: «كلا، آسف يا جايمي، لو كنت أعرف أن هذا أمر مهم لسألته.»

قالت: «ومن قال إنه أمر مهم؟» قالت ذلك وهي تتوخى اظهار الهدوء في نبرة صوتها، ولكنها عضت شفتها تمنع بذلك تدفق الدموع من عينيها.

حدق روب إليها مذهولاً، ثم قال وهو يربت على ظهرها: «سأسأل عن ذلك، يا جايمي.»

قالت وهي تحني رأسها: «ليس الأمر مهماً، في الحقيقة. كل ما في الأمر أنني متعبة، يا روب وهذا كل شيء.»

فقال مواسياً: «حسناً، إنني أصدقك طبعاً ولا تقلقي. فأنا

لن أخبر أمي أو أبي بأنك أنت التي تريدين معرفة مكان سايمون.»

لم تملك سوى أن تضحك لقوله هذا، وقالت: «آه يا روب، إنك أحسن شقيق في الدنيا.»

فقال بابتسامة عريضة: «هل هذا يعني أنك ستسامحينني ببقية ثمن تصليح السيارة؟»

مسحت عينيها وذهبت إلى غرفة الضيوف شاعرة بتحسن قليل. إن بإمكانها على الأقل، أن تجلس الآن للعمل بذهن صافٍ، وكانت ترتدي أقدم ثوب لديها مصممة على البقاء على مدار الساعة إذا استوجب الأمر وذلك إلى أن تنتهي من تمزيق كل الورق القديم وإعداد الجدران للترميم ووضع الورق الجديد.

كان يتطلب منها ذلك يوماً بأكمله، وكان ما يزال هناك المطبخ عليها أن تنهيه.

لم تكن جايمي هي الوحيدة المتأخرة في عملها. لقد كانت غرفة النوم الرئيسية قد أنجزت أثناء العطلة الأسبوعية، ولكن غرفة الأطفال ما زال العمل فيها قائماً، وعندما كانت جايمي تصعد السلم، كان بإمكانها أن تسمع صوت المنشار الكهربائي آتياً من الغرفة التي كانت غريتا قد صممتها لتكون غرفة الطفل المثالي وضغط هذا الصوت على أعصابها.

أغمضت جايمي عينيها وهي تدير اكرة باب غرفة الضيوف محدثة نفسها بأنها إذا نظرت فقط إلى جدار واحد ومنطقة واحدة في نفس الوقت، فبقية المهمة ستبدو أسهل.

لكن بدلاً من الورق الرث الممزق الذي كانت رأته يوم الجمعة حين ابتدأت العطلة الأسبوعية بدلاً من ذلك رأت

الجدران نظيفة ممهدة ولا أثر للورق القديم الرث. كانت المرحلة الصعبة المرهقة من العمل قد تمت.

وقفت في وسط الغرفة، ثم أخذت تدور على نفسها ببطء لا تصدّق ما تراه عيناها. لم يكن قد خطر في بالها قط أن سايمون قد يأتي خلال العطلة الأسبوعية وينهي العمل، وهي التي كانت تتوقع أنه بعد ما حدث بينهما من شجار، سيبقى بعيداً عن هذا المكان قدر الإمكان.

لماذا فعل ذلك؟ أهي الرغبة الصادقة في المساعدة؟ أم لعله شعور بالذنب؟ لم يكن عندما عرض المساعدة في إنجاز المطبخ، صادقاً في ابداء السبب الحقيقي، ولعله الآن يريد أن ينفذ عن ذلك. أم لعل هذه طريقة غير مباشرة ليقول لها إنه آسف لطريقته في معاملتها تلك؟ وللشجار والمقاطعة اللذين حدثا بينهما؟

لكنها حدثت نفسها بأن عليها أن لا تحلم أبداً بشيء خيالي كهذا. لأنها ستتألم للغاية إذا ما اكتشفت أنه غير صحيح، فقد تكون مساعدته مجرد تصميم منه على إنهاء ما أخذ على عاتقه من عمل. فهذه هي شخصية سايمون.

اتكأت على عتبة النافذة الرخامية محاولة كبح دموعها وهي تحدث نفسها بحزم أن من الحماقة أن تتصوره الرجل المثالي... فقد كان بعيداً عن ذلك. فالرجل المثالي هو رجل صامد متين الخلق ووسيم وطيب القلب... إذ بعد الشجار الذي حدث، لا يمكن لأحد أن يصف سايمون بطيبة القلب.

كلا، إنه ليس الرجل المثالي الذي وصفته غريتا. والذي هو مكافح جدير بالثقة... ومن اكتمال الشخصية بحيث يسبب السأم في الحياة الحقيقية حسب وصف غريتا ذاك،

وتمتمت جايمي بأن سايمون لا يمكن أن يسبب السأم... أما بالنسبة لكونه جديراً بالثقة...

حسناً، كان كثيراً أن تنكر عليه حالياً أي فضيلة على الاطلاق. فهي لا تستطيع أن تنكر أن رجلاً يحقق هذا القدر من النجاح في العمل، فينشىء سلسلة مكوّنة من مائة صالة لتقديم البيتزا وذلك دون بذل أيّ جهد. كما أنه كان كريماً وسيماً ذا حس فكاهي.

كلا، إنه ليس الرجل المثالي الذي وصفته غريتا ولكنه كان أفضل منه من نواح كثيرة.

ثم، سواء كان مثالياً أم لا، فإنه الرجل الذي أحبت، الرجل الذي ستحبه على الدوام سواء رأته بعد الآن أم لا.

* * *

في عصر اليوم التالي، كانت جايمي تعلق في المطبخ ستائر جديدة، وهي تتساءل عما عسى أن يكون رأي سايمون بها، عندما قرع هربرت، محامي غريتا الباب الخلفي. نزلت عن الكرسي لتفتحه له وهي تقول: «آسفة لكون الباب مقفل، يا هربرت فإذا أنا تركته مفتوحاً فالناس ستدخل منه بمختلف الأعذار للتفرج على المنزل. وإحدى النساء استطاعت أن تصعد إلى البرج قبل أن نتمكن من الامساك بها، وعند ذلك قالت بشيء من التخاذل بأنها تبحث عن صديقة لها قالت إنها قد تكون هنا.»

قهقه هربرت ضاحكاً: «مثل هذا الاهتمام بالمنزل، يبشر بالخير حتماً.»

قالت وهي تسكب له القهوة التي صنعتها لتوّها: «نعم،

فالتذاكر تباع بشكل جيد. كل شخص يريد أن يشاهد منزل الأحلام.»

نظر هربرت حوله، ثم جلس إلى المائدة: «حسناً، لا أظن الناس سيصابون بخيبة الأمل، فقد تغير المنزل تماماً.»

تابعت جايمي نظراته. لقد كانت على صواب بالنسبة إلى لون الخزائن، فقد بدت الغرفة الآن أكثر دفئاً بكثير، كما أن جمال الستائر قد منح المطبخ جمالاً ورقّة، وقالت: «يبدو لي من عدم الولاء أن أحدثت فيه كل هذا التغيير رغم أن غريتا كانت وافقت على كل جزء من هذا العمل، وأنا واثقة من أنها كانت ستحب هذه النتيجة، ولكن مع ذلك...»

فكرت في أن الأمر سيكون أسوأ إذا كان كل هذا الجمال قد يذهب بعد شهور قليلة. كل ما كانت غريتا تحبه وتهتم به، من الممكن أن يستحيل إلى اطلال وقد قام بدلاً منه صف من الشقق.

حدثت جايمي نفسها أن الوقت قد حان للتوقف عن كل هذا الهراء، وهي ستقبل أفضل العروض مهما كان، وسيكون في ذلك نهاية عملها هنا، وقالت: «على كل حال، يا هربرت شكراً لحضورك. وكان يسرّني أن آتي أنا إلى مكتبك...»

فهز هربرت كتفيه: «ليس في ذلك أي ازعاج مطلقاً. فالمنزل في طريقي، ثم إن لديّ شيئاً أريد أن أحدثك عنه أيضاً.»

«ما هو؟»

«آه، سنصل إلى ذلك. ما أجمل أن نرى المنزل يبدو مسكناً حقيقياً مرة أخرى، إنه بحاجة إلى أسرة فتيّة.»

نظرت جايمي إلى فنجانها وهي تفكر... أسرة فتيّة...

إنها الأسرة التي تصبو إلى أن تصبح لديها يوماً ما، فتغمرها بحبها مهما كان المنزل الذي يعيشون فيه، كبيراً... أسرة تنشئها مع سايمون، فقط لو كان يبادلها نفس شعورها.

لكن من الحماقة أن تفكر بهذا الشكل، فلو كان يهمه أمرها، لما أخفى عنها حقيقة أمره مبقياً عمله سراً لنفسه.

تنحنحت قائلة: «حسناً، لا يبدو أن هناك أسرة فتيّة في سوق العرض، حالياً والسبب الذي لأجله استدعيتك يا هربرت هو أن أسألك إن كان بإمكاني شراء شيء من الممتلكات.»

مال هربرت برأسه جانباً وهو ينظر إليها متسائلاً: «أي نوع من الأشياء؟»

«هنالك بعض الأدوات الصينية والبلور وقطع قليلة من الأثاث أحب أن أقتنيها، ولكن بما أنني منفذة الوصية لا أدري إن كان بإمكاني، قانونياً أن أكون شارية.»

«نعم، بإمكانك ذلك. وأفضل طريقة لذلك هو أن تحضري من يثمّن كل شيء، وبهذا لا أحد يستطيع أن يتساءل عما إذا كنت تستغلين صفتك لمكسب شخصي.»

«أتعني سايمون بكلامك؟»

هز هربرت رأسه: «آه، لا أظن سايمون يهتم بذلك. ولكن الناس والمحكمة، سيتساءلون عما إذا كنت منصفة، ثم إن هناك دوماً مشكلة الضرائب...»

«في هذه الحالة سأترك هذا الأمر، فالمثمّن يكلف غالياً، ولا أظن الأشياء التي أريدها تستحق أكثر من دولارات قليلة.»

«إن أسهل الأمور هو الانتظار إلى حين يقام المزاد

العلني، فما تشترينه في ذلك الحين فلن يكون فيه أي حرج عليك من ناحية الثمن. هل قررت موعداً لذلك؟»

أومأت جايمي: «إنه في أول عطلة أسبوعية من شهر أيار (مايو)، بعد انتهاء العرض مباشرة، إن هذا لن يمنحني وقتاً كافياً للاستعداد، ولكن شركة المزادات وعدت بإرسال من يساعدني على ذلك.»

كانت تعلم أن من الأفضل أن تنتهي من كل شيء بأسرع ما يمكن، وكلما مرّ المزاد بسرعة وبيع المنزل، كان الأمر أسهل عليها. ولا يكون لسايمون سبب يدعوه إلى العودة إلى سمرسيت، وسيكون بإمكان جايمي العودة إلى حياتها العادية مرة أخرى. لن يكون لها عذر بعد ذلك في التفكير به.

سألها هربرت: «والمنزل؟»

«أخشى أن يطول أمر ذلك. لقد رفضت أمس طلب شراء آخر.»

بدا على هربرت التفكير، ثم قال: «ياليتك أعلمتني بالأمر.»

«لم يخطر ببالي الاتصال بك، هل كان عليّ أن أفعل؟»

بدا عليه وكأنه يقلّب الأمر في ذهنه، ولكنه قال أخيراً: «ليس المفروض عليك ذلك، قانونياً ولكنها ليست بالفكرة السيئة، يا جايمي.»

«إنني واثقة من أنك كنت ستوافقني على ذلك. لأن الثمن المعروض ما زال اقل من المطلوب بكثير. إنه نفس الشاري، شركة نوكس للبناء. وهو الشخص الذي يريد أن يهدم المنزل، لا أظنه سيرفع الثمن كثيراً، لأن الأرض وحدها لا تستحق الثمن الذي طلبته أنا منه.» أضافت باكتئاب: «هذا على الأقل، ما أرجوه.»

«وماذا بعد ذلك؟ هل ننتظر تلك الأسرة الفتيّة النامية التي كنا نتحدث عنها؟»

«أرجو ذلك.»

«حسناً، لا تكوني عديمة الصبر، فقد يحدث أي شيء بعد فترة قصيرة... طبعاً إذا كنت متلهفة إلى إنهاء كل شيء...»

«هذا صحيح، في الواقع. ولكن إذا كنت ستقترح بأن نضع المنزل نفسه في المزاد، لا أظنها فكرة حسنة.»

«كلا، كلا، لقد اقترح سايمون، بدلاً من تجميد كل شيء إلى ما بعد بيع المنزل، والذي أوافقك على أنه قد يأخذ شهوراً، يستطيع هو أن يشتريه من بين الممتلكات.»

نظرت جايمي إليه ذاهلة: «هو يريد... إنك تمزح طبعاً.»

«إنه شيء عمليّ تماماً، في الحقيقة. إنه فقط يحوّل مالاً إلى ممتلكاته، وبما أنه الوريث الوحيد...»

«فسيعود إليه على كل حال، أو معظمه.»

أومأ ايجاباً.

فقالت: «إذن، ما هي الغاية من ذلك؟»

«بتلك الطريقة سيكون لديك كل المال المطلوب لتسديد ضريبة الإرث، وهكذا مع انتهاء المزاد العلني والتسجيلات القانونية، ستقفل الممتلكات رسمياً في نفس اليوم الذي يسمح به القانون.»

نظرت جايمي إليه بعينين ضيقتين: «ما الذي سيفعله سايمون بالمنزل؟»

«أظنه سيتركه معروضاً للبيع وينتظر شارياً مقبولاً مهما طال الانتظار.»

«ولكن ألا يعرّضه هذا للخسارة؟ أعني أننا وضعنا ثمناً

معيّناً للمنزل، ولكن لا يوجد ضمان بأنه سيباع بنفس الثمن. فإذا هو دفع ذلك الثمن بغرض تسوية أمر الممتلكات، ثم يبيعه بثمن أقل...»

«أظن سايمون سبق وفكر في ذلك الاحتمال ورأى أن بإمكانه الاقدام على ذلك.»

تملك جايمي الاعجاب. إنها طريقة ذكية حقاً، وتساءلت عما إذا كان هربرت يعلم بأمر أعمال ملك البيتزا، ومتى علم بذلك.

لقد فهمت وجهة نظر سايمون، طبعاً فهو متلهف إلى أن ينتهي من كل هذه الفوضى، متلهف إلى الحدّ الذي يجعله يفكر في أي طريقة ممكنة للخروج منها، وكان هذا هرباً منطقياً تماماً فكر فيه بكل شيء. وبإمكانه طبعاً المجازفة. فكل ما يجازف به سيكون بالمال.

والمال، كما يبدو ليس بالأمر المهم بالنسبة إليه بالمقارنة مع اضطراره للتعامل مع جايمي لعدة شهور أخرى.

الفصل التاسع

حاولت جايمي ان تزن الأمور بالمنطق، فالمنزل يشكل قسماً ضخماً من إرث سايمون، وكانت جايمي تعلم ان ليس بإمكانها الوقوف في طريقه إذا ما حاول امتلاكه، فهذا لن يكون حقاً أو عدلاً.

كانت جايمي تشعر بالتعب لهذا التوتر الحاصل بينهما، هي أيضاً، ولكنها لم تكن تقفز إلى حلول جنونية فقط لكي تسوّي الأمور بشكل مبكر قليلاً، لا شيء يمكن أن يتغير في الأسابيع القليلة المقبلة...

ولكن هناك شيء قد يتغير، فقد كانت أخبرت هربرت بنفسها منذ دقائق فقط بأنها تظن ان اكثر مقدمي عروض الشراء، إلحاحاً على وشك الخروج من السوق. وشعرت بالارتياح فهذا يعني ان المنزل لن يهدم على الأقل.

ولكن إذا كان سايمون مصمماً على القيام بتلك المعاملة، ورأى امكانية ذلك تتبدد لأن جايمي متمسكة بثمن أعلى مما يريد الشاري دفعه...

ولكن لماذا يهتم سايمون بالثمن، في الحقيقة؟ انه ليس بحاجة إلى المال، والبيع السريع يجذبه اكثر، ولكن إذا كان ثمة طريقة لإبعاد جايمي من الطريق، فهذه هي الأنسب، قطعاً، وحدثت نفسها بأن تقبل هذا العرض وتريح نفسها من كل هذا، وذلك قبل ان يتطور ما تشعر به من ألم إلى الأسوأ انها تتخلص بذلك من المسؤولية على الأقل.

لكن غريتا قد وثقت بها، لقد تعمدت غريتا، وعن قصد، اختيار جايمي... عالمة بأنها ستبذل جهدها بتنفيذ مشروع المعرض، واثقة من انها ستصون المنزل الذي أحبته غريتا إلى أقصى حد، ان جايمي تدرك الآن بأنها قد لا يكون في امكانها القيام بذلك، ولكن عليها ان تحاول فلا تستسلم كالجبناء.

سمعت نفسها تقول: «سأفكر في ذلك بعد انتهاء المعرض، وإلى ذلك الحين... حسناً، الأفضل ان أدع الأمور كما هي الآن.»

أومأ هربرت: «فكري في الأمر جيداً، وفي نفس الوقت، إذا جاءتك عروض أخرى، ربما من الأفضل ان تطلعيني عليها قبل ان تتخذي أي قرار بشأنها، ان لك كل الحق في ما تقررينه بالطبع، ولكن ليس من المناسب تماماً عدم أخذ رأي القانون في ذلك، يا جايمي.»

«طبعاً، وأنا آسفة يا هربرت، ولكن الأمر هو انه لم يخطر ببالي الاتصال بك.»

ابتسم لها بحرارة وخرج، بعد خروجه، عادت جايمي إلى عملها في تركيب الستائر، ثم اخذت تخرج ما كانت اختارته من تحف جميلة مشرقة الألوان، ومناشف وابسطة تتناسب الوانها مع الوان الستائر المتألقة. ظهرت هولي: «هل تصدقين ان غلوريا لم تفرغ بعد من غرفة (الطفل المثالي)؟»

«حسناً، انني أنا أيضاً لم أفرغ من غرفة الضيوف بعد.»

«هذا طبيعي، فليس بإمكانك القيام بالمزيد من العمل قبل

ان ينتهي وضع ورق الجدران، ولكن ليس هناك من يشتغل في غرفة الطفل، والافتتاح قد اصبح قريباً جداً.»

«لا تخافي، ستنتهي الغرفة حتى ولو قمت بذلك بنفسي.»

وضعت هولي ذراعها حول كتفي جايمي وهي تقول: «آسفة، ما كان مستحسناً مني ان أزيدك إرهاقاً فوق كل ما تعانيه هذه الأيام.»

قالت جايمي بضعف: «شكراً، كلامك هذا يشعرني بالتحسن.»

ضحكت هولي: «والآن، انا آسفة حقاً، ما هو رأيك في ان نهرب من كل هذا؟ بعد ان ينتهي المعرض دعينا نذهب إلى سانت لويس لنقضي عدة ايام ونتسوق ونأكل ونرتاح من أي عمل.»

حدثت جايمي نفسها... سانت لويس؟ لكي تدفعني الصدف إلى مقابلة سايمون في الشارع؟ سألتها هولي: «لماذا نظرة عدم الموافقة هذه؟ انك لا تريدين من احد آخر ان يستمتع بتنظيم كل هذه الأشياء.»

حاولت جايمي ان تتمالك نفسها، ان آخر ما تريده هو ان تدع هولي تسترسل بالأسئلة، فقالت: «ليس الأمر بهذا الشكل، إذ قد يدركون مقدار العمل الذي نقوم به، وبعد ذلك لن يتطوع أحد ليقوم بالعمل بدلاً منا، السنة القادمة.»

«هذا رأي جيد، حسناً، سننتهي من مهمتك هذه أولاً، وبعد ان ينتهي عرض المنزل سنحتفل بالمناسبة، اتعرفين ان المطبخ الآن يعجبني؟ ربما كان رأيي في خشب السنديان الذهبي لم يكن صائباً.»

التفتت جايمي اليها بلهفة وقالت: «اتعنين انك مازلت

تريدين شراء المنزل؟ لم تعودي إلى ذكر هذا الأمر منذ مدة طويلة حتى انني ظننتك نسيت أمره، أو انك لم تكوني جادة في ذلك.»

«لم أعد إلى ذكر ذلك لأنني عندما سألت زوجي أجاب بأنه انتقل إلى بيتنا الحالي لآخر مرة في حياته، وهو ينوي ان يموت فيه.»

ماتت الضحكة على فمها عندما رأت ما بدا على ملامح جايمي فقالت: «آسفة يا حبيبتي ان لم اخبرك بذلك قبل الآن، لم اكن اظنك قد اخذت الأمر بجدية.»

عضت جايمي شفتها: «لا بأس، كل ما في الأمر هو انني متلهفة إلى إنقاذ المنزل، وانا اعلم انك كنت ستعتنين به.»

«هذا يجعل دمي انا أيضاً يغلي كلما فكرت في ذلك الرجل الذي يريد ان يهدم المنزل بعد كل ما بذلنا فيه من عمل مرهق، لماذا لا تشترينه انت يا جايمي؟»

حاولت جايمي ان تضحك وهي تقول: «أنا؟ وماذا افعل به؟»

«يمكنك ان تسكني في الطابق العلوي وتجعلي مكتبك في الطابق الأسفل، وسيكون مكتباً حقيقياً هذه المرة...»

«ولكنني أحب مكتبي الحالي.»

«ثم تذكري انه لن يكون عليك ان تنقلي من هنا غرفة نوم غريتا التي أورثتك إياها.»

تأوهت جايمي: «شكراً لتذكيري بها، ما زلت حتى الآن لا أدري اين اضعها.»

«بإمكانك ان ترتاحي، فما زال امامك عدة اسابيع أخرى، لذلك ما الذي سترتدينه في حفلة سايمون؟»

نظرت جايمي اليها ذاهلة... حفلة سايمون؟ إذن فهو عائد؟ لماذا لم يعلم روب بهذا الأمر؟ قالت ببرودة: «أي حفلة؟»

«هل سيقيم اكثر من حفلة؟ انني مدعوة فقط إلى حفلة عشاء تسبق الافتتاح رسمياً، لقد قال انها لن تكون بالروعة التي كان يريدها عليه حيث انها ستقام مبكراً وبهذا يمكنهم توزيع الحلوى والمرطبات حسب المنهاج، ولكن بما ان كل شخص أراد ان يدعوه قد حصل مسبقاً على تذكرة لحضور حفلة الافتتاح، فسيكونون هنا على أي حال، وسيكون هذا هو الوقت الوحيد الذي سيكون بإمكانه جمعهم معاً، اما انا فلا أدري ان كان عليّ ان أرتدي ثوباً مطرزاً بالخرز، أم شيئاً غير رسمي، ولكن بإمكاني طبعاً ان اضع مئرزاً إذا وجدت حاجة لدخول المطبخ، أو اقدم الحلوى، وهكذا...»

«يمكنك ان ترتدي ما تشائين وتتركي أمر المطبخ لي، مادمت غير مدعوة إلى الحفلة.»

حملقت هولي بها: «ولكنك مدعوة طبعاً.» نظرت إلى خلف جايمي. «أليست كذلك؟» وقبل ان تستدير جايمي إلى الخلف، شعرت بوجود سايمون.

كان يبدو رائعاً، ام ان ذلك لأنها لم تره منذ أيام؟ أخذت تتأمله بنظراتها... وأدركت أن وجهه كان اكثر نحولاً، أتراه كان يجهد نفسه في العمل، أم انه لم يكن ينام جيداً؟ كانت عيناه ممتلئتين بمشاعر اخافتها، هل اشتاق إليها...؟ أم انها من الحماقة بحيث تظن ذلك؟

قال: «انك مدعوة طبعاً، ولكنني لا استطيع ترك تذكرة

الدعوة ملصقة على باب الثلاجة ليراها كل شخص، وهكذا فكرت في ان اترك لك وقتاً تهدأ فيه اعصابك.»

فقالت بضيق: «هذا عظيم... والآن إذا لم أذهب سيبدو الأمر وكأنني مخطئة وأنني قاطعتك.»

فقالت هولي: «حسناً، انني مسرورة لاتفاقكما والآن أرجو المعذرة فأنا ذاهبة لاستدعاء غلوريا وإخبارها بأنها إذا لم تعمل في غرفة الطفل اليوم، فسأحبسها في القبو على الخبز والماء.»

ساد في المطبخ صمت كان اكثر مما تستطيع جايمي احتماله، كان أشبه بثقل يضغط عليها، لم تنظر إلى سايمون، ولكنها شعرت به يقترب منها ثم يستند إلى الجدار ينظر اليها.

فقالت له: «لا يتوجب عليك ان تدعوني إلى الحفلة لمجرد ان هولي تظن أن عليّ ان اكون هناك.»

«لا تكوني حمقاء، فقد أمضيت في سمرسيت ما يكفي من الوقت لكي أدرك ما قد يقوله الناس إذا لم تكوني موجودة.»

«شكراً، يا له من شرف ان اكون مدعوة.»

«جايمي، اسمعي... انني آسف، ولكنها الحقيقة كما تعلمين.»

لم تستطع ان تناقشه في ذلك، ذلك ان كل شخص في المدينة سوف يبدأ بالتكهن عن نوع الخصام الذي حصل بينهما وعما إذا كانا سيتصالحان، وعندما يبدأ مثل ذلك التساؤل، فلن تكون له نهاية، خصوصاً بالنسبة إليها هي التي ستعيش في المدينة.

أخيراً أومأت بالقبول، قائلة: «سأكون هناك.»

«الجمعة الساعة السادسة هنا في المنزل. ثم يا جايمي.»

«ماذا؟»

«لقد اخبرني هربرت أن هناك اشياء تخص غريتا تحبين ان تحصلي عليها.»

فرفعت حاجبيها: «إذن فقد تحدثت معه؟ يا لها من مصادفة.»

«لقد قابلته صدفة في الطريق. إذا اعطتني قائمة بتلك الأشياء، يا جايمي...»

هزت كتفيها: «كل شيء أريده سأشتريه في المزاد العلني، هذا إذا لم يرتفع سعرها.»

«ان بإمكاننا ان نقوم ببعض الترتيبات لذلك.»

«اتعني نوعاً من المقايضة؟ ماذا عليّ ان افعل بالمقابل؟ احول لك المنزل؟»

سكت هنيهة ثم قال برقة: «لماذا لم توافقي على ذلك، يا جايمي؟»

فقالت: «أنا لم اقل إنني لا أريد ذلك، قلت انني أريد انتهاء العرض قبل أن أقرر.»

«لماذا؟ هل ظننت انني دون قلب حتى ألغيه؟»

«ماذا ستفعل بالمنزل، يا سايمون؟ ولماذا انت متلهف للحصول عليه؟ لا يبدو عليك أنك من النوع الذي يريد منزلاً صيفياً هنا.»

تنهد قائلاً: «كلا، ولكنني افضل ان لا اشرح سبب رغبتي في الحصول عليه حالياً.»

«آه، يمكنني ان افهم هذا، فالشرح ليس عادة متأصلة فيك، أليس كذلك؟»

«تباً لذلك... يا جايمي...» سكت لحظة قال بعدها: «ربما انا أرى أن بإمكاني التصرف به بشكل افضل مما تفعلين.»

«هل في ذهنك معاملة معينة؟»

«نعم، في الواقع، ولكن مادامت الحالة هذه، فيداي مقيدتان، وهذا لا يعجبني.»

«انك لا تثق بي، أليس كذلك يا سايمون؟»

توقعت منه أن لا يجيب على هذا السؤال... أو ان يقول، ربما... أو على الأقل، انه لا يثق بها... ولكنه لم يقل شيئاً على الإطلاق. ان بإمكانها ان ترى الجواب في عينيه، وأذهلتها حدة شكوكه بحيث جعلتها تشيح عنه.

ذات يوم كان يسعدها ان تأتمنه على حياتها أما الآن فليس في قلبها أي ثقة، وكذلك في قلبه كما هو واضح، لم يبق هناك شيء على الإطلاق سوى الألم.

* * *

كانت سيارات متعهدي الطعام تسد طريق المنزل، وهكذا جاءت جايمي من الباب الأمامي، ربما كان تصرفها هذا مختلفاً عن العادة، فهي منذ ايام طويلة لم تستعمل المدخل الرئيسي... أو ربما كان هذا لأنها كانت مرتدية ملابس رسمية وذلك لأول مرة منذ وقت لا تذكر تاريخه، لكنها شعرت وكأن منزل تشادويك مختلف تماماً عما تعهده. كانت حفلة سايمون ستبدأ بعد نصف ساعة وكانت رائحة الطعام تنبعث من المطبخ شهية للغاية.

كم كانت غريتا ستحب هذه الحفلة... كانت ستتنقل بين المدعوين فتكون في كل مكان في نفس الوقت.

أخذت جايمي تفكر في كل هذا بعد ان استحال الحزن الحاد الذي تملكها في البداية إلى ألم هادىء في قلبها كلما تذكرت غريتا، ألم في القلب لا يمحوه سوى الزمن، ولكن الليلة كان الألم مازال يتملكها كلما جالت في أنحاء منزل غريتا، شاعرة بالفراغ.

كانت هولي والتي كانت ترتدي ثوب سهرة مطرزاً بالخرز، كانت تضع منضدة صغيرة بجانب الباب الأمامي لبيع التذاكر لمن يرغب في حضور الحفلة فيما بعد، نظرت إلى جايمي، قائلة: «ثوبك جميل، هل هو جديد؟»

«كلا، انه قديم في الحقيقة.» ونظرت جايمي إلى نفسها في المرآة وهي تستدير فيسمع حفيف ثوبها المخملي الأسود، وقالت: «ظننته ملائماً للمكان حيث ان طرازه لا بد يعود إلى الثلاثينات.» وإذا بها تقفز وهي تسمع دوي ضربات مطرقة في الطابق العلوي.

صرفت هولي بأسنانها: «إذا كان هذا الصوت من فوق، فسأرتكب جريمة الآن.»

«إذن لا تذهبي وسأهتم أنا بالأمر، أريد ان اقوم بجولة نهائية في المنزل لأتأكد من أن كل شيء على ما يرام، على كل حال.»

رافقت ضربات المطرقة جايمي وهي تصعد السلم.

كانت غرفة الضيوف كما حلمت جايمي بها، من اكبر قطعة أثاث إلى الجرة الرخامية الملونة على رف المدفأة، وكان الدهان رائعاً يبدو وكأنه جزء من هذه الغرفة والتي كانت تحمل كثيراً من الذكريات عن سايمون وعن الوقت الذي كانت تظن فيه، وبكل براءة، بأنه يبادلها مشاعرها.

كان حزنها اكثر عمقاً من ذلك الذي شعرت به لموت غريتا، ان عليها ان تواجه سايمون الليلة، وذلك سيكون كما لو أنها عادت ففقدت كل آمالها مرة أخرى.

ذهبت مباشرة إلى غرفة الأطفال حيث وقفت عند العتبة راغبة في الدخول يمنعها الخوف مما قد توقظ فيها الغرفة من ذكريات، منذ أبدى هربرت تلك الملاحظة عن أسرة فتية نامية، أصبحت هي تنتبه إلى نفسها وهي تحلم، ان لم يكن سايمون فبالأطفال.

لم تجد رجلان فقط في غرفة الطفل المثالي، بل مصممة الديكور أيضاً، وكان الإنزعاج بادياً عليها وهي تقول متوسلة: «لا تقولي شيئاً، انني اعرف ان كل هذا كان ينبغي ان يكون انتهى الآن، ولكن صدقيني، فأنا هنا فقط لوضع اللمسات الأخيرة، ساعتان أخريان فقط.»

نظرت جايمي إلى ساعتها وقالت: «سيكون عندنا ضيوف إلى العشاء بعد ثلث ساعة.» ولكنها لم تستطع تجنب الشعور بالشفقة عليها، فلولا مساعدة سايمون لكان ممكناً أن تكون هي في مثل وضعها الآن.

قالت غلوريا: «أتعهد لك بأن لا يكون بعد الآن طرق مسموع، وعندما أنتهي سأتسلل من الممر الخلفي.»

عندما هبطت جايمي السلم كانت خادمة تحمل صينية عليها مرطبات دخلت بها غرفة الجلوس ومن غرفة الطعام تناهي إلى سمعها صوت خشخشة الأطباق.

كان سايمون في المكتبة مسترخياً على أحد الكراسي الجلدية العميقة، مغمض العينين، بدا وجوده هناك طبيعياً للغاية ما جعل جايمي تتصور، وللحظة واحدة ان رغبتها

فقط هي التي اوجدته هنا، وكذلك تفكيرها فيه في كل لحظة عملت فيها في هذه الغرفة.

سمعها تدخل ففتح عينيه، عند ذلك لم تستطع أن تتراجع فقالت: «كيف يمكنك ان تغفو بين كل هذا الضجيج حولك؟»

قال وهو ينهض: «بسهولة.» كانت ملابس السهرة التي يرتديها رائعة، ما عدا عدم وجود ربطة العنق، وتابع يقول: «انها غرفة مريحة للغاية، يا جايمي، انني اهنئك عليها.»

قالت: «حسناً، شكراً لك.» كانت تريد ان تقول انها صنعتها لأجله، ولكن سيكون ذلك حماقة منها. فهو لن يهتم مثقال ذرة، أخرج ربطة عنقه من جيبه وعقدها بمهارة بالغة. فكرت جايمي بأن قلة من الرجال يمكنها القيام بذلك دون مرآة، ولكن سايمون لم يبد عليه حتى التفكير في الربطة هذه، وانما كان ينظر اليها هي، متأملاً شعرها ووجهها وثوبها.

تقدم منها خطوتين ببطء: «كان معك الحق، يا جايمي، ان منزل الاحلام رائع الجمال، كما ان العرض سيكون ناجحاً تماماً.»

أخذت جايمي تغالب دموعها، ثم قالت بصعوبة: «انني لم اشكرك لكشطك بقية ورق الجدران في الطابق العلوي، ما كان يمكنني قط إنجاز العمل دون مساعدتك لي.»

لم يجب، نظرت هي إليه من تحت اهدابها، أتراهما سيتصافيان ذات يوم وتندمل فجوة عدم الثقة هذه التي بينهما؟ أم ان الأمور ستسير نحو الأسوأ؟

تصاعد إلى سمعها همهمة الأصوات من الردهة اسفل، فقالت له: «ان ضيوفك ابتدأوا بالتوافد يا سايمون.»

لم يجب وإنما سار بجانبها ببساطة إلى حيث سارا معاً لاستقبال ضيوفه، الناس الذين كان يمكن أن يكونوا، لو كانت الأمور مختلفة، ضيوفهما، ولكن الأمور لم تكن مختلفة، وإنما هي مخيلتها فقط التي صورت لها إمكانية ذلك.

* * *

كان متعهدو الطعام قد ذهبوا تاركين رائحة الطعام الشهية في جو المطبخ، وعشرات اطباق الحلوى المزينة قد وزعت وأكلت بعد ان استقبلت بالهتاف.

كان سايمون ما يزال في الردهة يودع آخر ضيوف الحفلة، عندما انسحبت جايمي إلى المطبخ، كان المتعهدون قد نظفوا كل شيء وغسلوا الأطباق، وكان على مائدة غرفة الطعام ان يعاد تنظيمها استعدادا ليوم العرض غداً، ووعدت نفسها بأن امامها نصف ساعة أخرى، وآخر عملها سيكون قد انتهى.

ساد الهدوء أجواء المنزل، وتساءلت عما إذا كان سايمون قد خرج هو أيضاً، وإلى أين تراه ذهب، كانت شبه متوقعة بأنه سيغادر سمرسيت مرة أخرى غداً، فقد كانت سمعته يقول وداعاً لأبويها وكأنه لم يكن ينوي العودة إلى بيتهما. وقد أدهشها هذا، فقد كان الوقت منتصف الليل تقريباً وهو وقت لا يكاد المرء يجد فيه غرفة في فندق.

أخذت تعمل بهدوء وسرعة، فتنظم الصحون، وتطوي المناشف... أجفلت عندما سمعت نقراً على الباب الخلفي في هذه الساعة، من تراه يكون؟ ربما هولي عادت لتساعدها.

لكنها كانت غلوريا التي وقفت عند العتبة ترتجف من رياح نيسان (ابريل)، ومازالت مرتدية ثياب العمل. وسألتها جايمي: «هل أنت قادمة لتري ان كنت اعدت نظام غرفة الطعام كما يجب؟»

هزت غلوريا رأسها قائلة: «هذا لا يهمني، إنني قادمة لأستعيد أدواتي.»

«لا أتذكر أنني رأيتك في الحفلة.»

نظرت غلوريا اليها ذاهلة: «الحفلة؟ لقد كنت خرجت لتوي عندما ابتدأت الحفلة، ولم تكن لديّ الطاقة الكافية لأغير ملابسي واحتفل.» اتجهت نحو السلم وهي تقول: «عندما تحدث لك صرعة أخرى عن عرض لمنزل ما، فدعيني خارج كل ذلك، يا جايمي.»

عادت جايمي إلى غرفة الطعام تعاين المائدة مرة أخرى، كانت هناك بقعتا ماء على سطحها...

لم تكد غلوريا تكمل صعود السلم، حتى سمعتها جايمي وهي تهبط مرة أخرى، وهذه المرة كانت خطواتها عالية سريعة، وكانت تتنفس بصعوبة وهي تدخل غرفة الطعام، نظرت جايمي اليها ذاهلة، لم تكن تحمل أياً من أدواتها، وكانت تبدو كامرأة مجنونة... فعيناها ملتهبتان وشعرها مشعث وهي تتخلله بأصابعها بإحباط هائل، صحيح ان غلوريا كانت من النوع العاطفي، ولكن جايمي لم ترها بهذا الشكل قط من قبل.

قالت غلوريا: «لقد تهدم...»

«ماذا حدث؟»

«لقد سقط ذلك الشيء اللعين فأصبحت معه الغرفة عبارة

عن حطام، لقد هربت، وحيث ان لديك دوماً افكاراً نيّرة، يا جايمي، يمكنك ان تصنعي ما تشائين بذلك، ولكنني انا هلكت، انتهيت.»

وصفقت الباب الذي بين غرفة الطعام والمطبخ، فاهتزت الكؤوس البلورية مرسلة نغماً حزيناً.

أسرعت جايمي تصعد السلم بأسرع ما امكنها بتنورتها المخملية الضيقة.

لأول نظرة بدت الغرفة هادئة منظمة، ثم رأت الزاوية البعيدة، كان ورق الجدران، ذلك الورق الثقيل الوزن الغالي الثمن الذي ألصق على الجدران أمس فقط، ذلك انه قد جذب معه قطعاً من السقف، كما ان كتلاً من الجص قد انتشرت فوق السجادة.

لا عجب في ما بدت عليه غلوريا، فلم يكن ثمة حل سريع لمثل هذه المشكلة، كان ورق الجدران قد التوى، ولم يكن ثمة طريقة تعيده إلى مكانه، أما بالنسبة إلى السقف، إذا كانت أجزاء منه قد تساقطت بتأثير ضغط طفيف كهذا، فالمناطق المتصلة به كان محتملاً أن تكون ضعيفة هي الأخرى، كان الحل الوحيد لهذه المشكلة هو ان يسقطوا كل الجص المخلخل، ثم يبدأوا بالترميم والعمل من جديد.

طبعاً، لم يكن هناك وقت لمثل هذا العمل، وغداً في التاسعة صباحاً سيبدأ الناس بالتوافد وقرع الباب الأمامي، مبرزين تذاكرهم، متوقعين ان يروا منزلاً منتهياً ومعداً للعرض وليس مكاناً مازال التجديد فيه لم ينته بعد.

تراجعت جايمي إلى الباب، وكأنها تظن أن عدم رؤيتها

لهذه الفوضى، ستلاشيها، واذا بها تصطدم بشيء ما، فاستدارت بسرعة.

كان سايمون واقفاً ينظر اليها بهدوء، شهقت وهي تقول: «من أين انت قادم؟»

«من المكتبة.» وكان ينظر من فوق رأسها إلى الحطام: «لقد سمعت صوت ضوضاء، ماذا حدث؟»

«هل تتذكر ما كنت قلته لك مرة عن النتيجة الشنيعة عندما تضع ورق جدران جديد دون أن تنزع القديم؟»

«أهذا هو الأمر؟ فهمت.»

«كنت انا مشغولة بحيث لم أدرك ان غلوريا كانت تعمل دون الإلتزام بهذه القاعدة، وتعلم ذلك من رؤيتك للورق القديم تحت أطراف الورق الجديد الممزقة.»

دخل سايمون الغرفة ليرى ما حدث، عن قرب. «ما العمل الآن؟ هل يمكنك إعادة لصقه؟»

فهزت رأسها: «كلا، واظن علينا ان نغلق الغرفة امام الزائرين، فيا للخزي حيث ان الأثاث بديع للغاية ولكن...»

«ألا يمكنك تغطيته بشيء آخر؟»

«مثل ماذا؟ ملاءة قديمة؟ ألا يبدو ذلك رائعاً؟ انتظر لحظة سنجرب.»

هرعت لتصعد إلى غرفة البرج، وعندما وصلت كان سايمون خلفها مباشرة، وألقت النظر حولها مجفلة: «لا عجب في عدم ارتياحك هنا.» ثم اخذت تزيح الصناديق من الطريق وهي تقول: «انها هنا في مكان ما، لا بد انها هنا.»

«إذا انت اخبرتني عما تبحثين عنه، فسأساعدك.»

«الستائر الخضراء القديمة من غرفة الجلوس، كانت من

سوء الشكل بحيث أراد روب أن يلقي بها في القمامة، ولكنها كانت من قماش مقصب، فرأيت ان من الممكن استخدام النواحي الجيدة منها في تغطية شيء ما.»

كان عليهما ان ينقلا كل شيء تقريباً قبل ان يجدا الستائر وقد لفت بشكل سيء وألقي بها في الزوايا البعيدة.

قال سايمون حين عثرا عليه: «والآن ولدينا هذا الشيء النفيس، ماذا سنفعل بها؟» نظر إلى ما عثرا عليه، وإلى التراب على ملابسه، وبان الإشمئزاز على وجهه.

«اننا سنصنع من الزاوية المنهارة شجرة فنية جميلة.»

نظر سايمون اليها لحظة طويلة، ثم قال بوقار: «انا طبعاً اعرف هذا، وإنما أردت ان اتأكد من موافقتك على أنه عمل صائب.»

ابتسمت جايمي قليلاً: «لماذا لا نغطي الفجوة هذه بشجرة؟» نفضت الستارة المحزمة وقالت: «انها تكفي، إبحث عن شيء بني اللون للجذع، وسأرى أنا ان كانت غلوريا تركت علبة مسامير مزدوجة السن للتثبيت ومقصاً.»

بعد دقائق كان سايمون يعود قائلاً: «لقد وجدت بذلة رجل أثرية بنية اللون رثة.»

أمسكتها جايمي تنظر اليها قائلة: «انها تصلح، وبسرعة اخذت تمزقها إلى شرائط ثم اخذت تثبتها بالمسامير إلى الجص ثم تمد القماش عبر الزاوية مشكلة جذعاً ملتوية صاعدة على الجدار، ومالبث سايمون ان اخذ منها علبة المسامير قائلاً: «دعيني أقم بذلك.»

خلال دقائق كانت الشجرة قد بدأت تتكون أشبه ما يكون برسوم الأطفال، وقد بدت وكأنها نبتت في زاوية الغرفة.

حاولت جايمي تركيز اهتمامها في الشجرة، لا تريد ان تفكر في مقدار السهولة التي كانا يعملان بها معاً حتى كادت تظن أن الأسبوع الماضي لم يكن له وجود.

لكن الشجرة اكتملت في النهاية. وقالت له اخيراً: «من حسن الحظ انك بقيت هنا ما جعلك تساعد في هذه، انني اعرف انك متلهف إلى الرحيل...»

«ومن قال انني راحل إلى أي مكان؟»

شعرت جايمي بالإرتياح لحظة ما لبث بعدها ان تلاشى: «والدي قال ذلك عندما ودعك الليلة.»

«آه، اظنه فعل ذلك بطريقة ما، لقد كنت فكرت في انني اثقلت على والديك مدة طويلة، ولهذا انتقلت إلى الفندق، وإلى ان اتدبر بعض الأمور، لا ينبغي استغلال ضيافة أمك.»

(يتدبر بعض الأمور) اخذت تفكر في ما قاله، اتراه يعني انه يريد ان يرى ما سيحدث للمنزل؟ انها مازالت لم توافق على شرائه من الأملاك، ولكن عندما تنتهي جولات الزائرين فلن يكون بإمكانها تأخير ذلك.

قالت: «انك لا تنفك عن الرواح والمجيء، أليس كذلك؟ اتراك تبحث عن مشروع جديد؟»

«طبعاً، فأنا بحاجة إلى مشروع جديد، وهذا هو السبب الحقيقي الذي جعلني أبيع سلسلة صالات البيتزا... لأن كل الإثارة والتحدي في اقامتها قد هدأ وانتهى بالنسبة إليّ.»

«وهل هذا ما يجعلك تتردد على سانت لويس؟»

أومأ قائلاً: «نعم، ولي غرض من وراء ذلك.» حسناً، لم تكن تتوقع منه أن يدلي بأي تفاصيل، فهذا ليس من عادته.

تراجعت إلى الخلف تنظر إلى ما أنجزاه بعين ناقدة.

«اظننا نجحنا في ذلك، ان أي شخص لن يعجب من وجود هذه الشجرة.»

فقال: «نعم، انها شجرة معقولة تماماً.»

جعلتها نبرة السخرية في كلامه، تسأله: «ولكنك تفكر في ما يوجد تحتها، أليس كذلك؟»

«ان تمويه المشكلة لا تذهب بها.»

«انه الجص فقط، يا سايمون، فلا شيء خطير هناك مثل أساس واهن متصدع مثلاً، وإذا كنت تظن ان هذا سيجعلني أوافق على هدم المنزل...»

«تباً لذلك، يا جايمي... لو انك فقط تستمعين إليّ...» ووضع علبة المسامير بقوة على المنضدة، وكأنه ينفس بذلك عن غضبه.

شعرت جايمي بالعلبة تخدش اصبعها فجذبته بحركة غريزية ووضعته في فمها.

«سايمون هل لك ان تنتبه إلى ما تفعله بهذه؟»

ترك العلبة وسألها بلهفة: «هل اصابك ضرراً؟»

«كلا، لحسن الحظ.»

«انني آسف يا حبيبتي.»

تشابكت نظراتهما فترة طويلة، قال لها بعدها: «جايمي، حبيبتي، لماذا لا تكفين عن محاربتي؟» أجابته بينها وبين نفسها لأنها لا تستطيع ان تمنع نفسها من حبه، انها تعرف الآن ان ليس المنزل هو ما كانت تحاول حمايته برفضها الموافقة على خطته، وإنما رغبة خفية في الاحتفاظ بآخر جزء من الأمل في ان شيئاً مازال يمكن ان ينمو بينهما إذا هما بقيا على اتصال، كانت تحاول التمسك بسايمون،

ولكنها الآن وهي تراه يدللها بكلمات تحبب ليست صادرة عن حب وإنما حسب خطة في ذهنه، رأت ان الآتي لا يمكنها تجنبه، وعليها ان تكف عن المحاولة، وإلا فهي ستحطم نفسها بذلك، ولأجل سلامتها حان الوقت الذي عليها ان تذعن فيه إلى قدرها وتفعل ما طلبه منها... وهو الكف عن محاربته.

قالت بصوت يرتجف: «حسناً، غداً سأخبر هربرت ان يحضر الأوراق، وحالما تنتهي التواقيع ستحصل انت على منزلك وبالتالي يمكنك ان تفعل به ما تريد.»

«جايمي...»

دفعته بيديها الاثنتين وهي تقول: «أريد فقط ان انتهي من هذا الأمر.» ثم استدارت وابتعدت عنه تاركة إياه جامداً مكانه.

الفصل العاشر

كان المزاد العلني سيبدأ في العاشرة صباحاً، ولكن لا بد أن طاقم البائعين قد ابتدأ العمل مع الفجر لأن جايمي عندما وصلت كان الفناء الأمامي قد غطيت أرضه بالأثاث والمناضد مغطاة هي أيضاً بالتحف والأواني، وكان كشك المحاسب قد أقيم في طريق المنزل، بينما نصبت خيمة لبيع القهوة والكعك الحلو.

كان صباحاً رائعاً من شهر نيسان (ابريل)، والراغبون في الشراء قد ابتدأوا التجوال وتفحص المبيعات وتثمينها، أومأت جايمي مبتسمة لزوجين بائعين من مدينة مجاورة كانت تعرفهما. وهكذا كان مزاد تشادويك هو الأكبر في هذا الموسم.

إثنان من القائمين بالمزاد أقبلا من داخل المنزل حاملين الكنبة. ووضعاها في آخر الصف أمام قدمي جايمي تقريباً. فابتسمت قليلاً وهي تتذكر ذلك الصباح الذي وجدت فيه سايمون نائماً عليها. إنها الآن أكثر إراحة بكثير بعد تنجيدها.

انتبهت إلى نفسها وهي تلامس البقعة في مسند الكنبة والذي كان رأسه موضوعاً عليها، فأبعدت يدها عنها وكأنها حرقتها، فالنهار سيحمل لها ما يكفي من الألم وهي ترى الأشياء التي كانت عزيزة على غريتا وعاشت معها طوال حياتها، تراها مشتتة في الجهات الأربع، كان في هذا ما يكفيها.

كانت قائمة مشترياتها قصيرة. فقط بعض التذكارات من

مقتنيات غريتا والتي كانت اخبرت هربرت بأنها تريدها. عدد من الأواني البلورية والصينية، بعض قطع الأثاث الصغيرة. كانت ترجو ان يكفي ما تحمل من نقود احضرتها للشراء فالأسعار بالنسبة لهذه الجموع ترتفع في العادة.

اخرج الرجلان الأريكة الموجودة في غرفة الضيوف ووضعاها امام جايمي تقريباً وعندما تحولت عنها لتتجنبها، اصطدمت بامرأة كانت قادمة تنظر الى الاريكة.

ابتسمت المرأة بأدب، ثم استدارت لتمر بيدها على ظهر الاريكة. وعرفت جايمي فيها تلك المرأة التي كانت تتحدث الى سايمون امام المنزل منذ أيام. كانت بمفردها بينما كان معظم الزائرين يأتون جماعات. كما انها لم تنطق بكلمة طوال تجوالها... فلا سؤال، ولا تعليق ولا ابداء رأي.

«جايمي.» وكانت هولي تشق طريقها إليها خلال الزحام، وهي تلوح بقطعة ورق. «انظري الى هذه.»

«امسكيها جيداً لكي استطيع قراءتها.» والقت جايمي نظرة واحدة ثم حملقت ذاهلة في هذا الشيك الشخصي والذي كان مكتوباً بحبر شديد السواد وبقيمة ثلاثين الف دولار... بامضاء سايمون نيكولز وسألت: «لما كل هذا؟»

«لقد سألني سايمون هذا الصباح عن المبلغ الذي يحتاجه تجديد المنزل. اخبرته بأنه يكلف عشرين الفاً.»

قالت جايمي: «لقد خفضت المبلغ نوعاً ما.»

«هذا ما قاله بالضبط. ثم اخرج دفتر شيكاته وأخذ يكتب. لماذا لم تخبريني بأن سايمون بامكانه دفع مبلغ كهذا؟»

تجاهلت جايمي السؤال وقالت: «اترينه باع المنزل؟» ربما لديه من المال اكثر مما كان المتوقع عنه. فإذا كان

الأمر كذلك فقد يصدق تعهدها الأول في ان التصليح سيزيد من قيمة المنزل، فشعر بأن الخدمات المتحدة يجب ان تستفيد هي أيضاً. كان المفروض ان تشعر بأن هذا يثبت نزاهتها، ولكن يبدو ان ذلك لم يعد يشكل لديها أي فرق.

ولكنها، في الواقع، رأت في غير المحتمل ان نوع الشارين الذين يلاحقهم سايمون كانوا سيدفعون اكثر بسبب ورق الجدران والستائر بل الأكثر احتمالاً هو ان سايمون لم يكن سوى شاعر بالذنب وهو يرى كل جهودهم الشاقة ستذهب سدى. فهل هناك طريقة لاسكات ضميره افضل من اعطائهم مبلغاً كبيراً لسبب جيد كهذا؟

قالت هولي: «لا ادري. ان كريستا لم تقل شيئاً معيناً بالطبع. ولكنني اعلم انها قادت كثيراً من الناس في انحاء المنزل، وقد اخذت اليه عرضين او اكثر.» ورفعت هولي الشيك تتفحصه، «على كل حال لا يهم الدافع الذي جعله يكتبه، ان اعمالنا الخيرية ستحصل على افضل تبرع هذا العام، اليس كذلك؟»

كان الناس مجتمعين امام مدخل المنزل بينما وقف الدلال المنادي على الدرجات حاملاً الميكروفون يعلن الشروط الأساسية للبيع. ثم ابتدأ يبيع اول الأشياء التي كانت جايمي ترغب بشرائها. وهو صندوق يحتوي على اوان صينية. عرضت اول مبلغ، وظنت لحظة ان الجموع لن ينافسوها عليها. ثم من خلف الجموع، ارتفع صوت آخر وتتابعت المزايدة. وأخيراً هزت جايمي رأسها محبطة وسكتت.

قالت لها هولي: «ولكن اذا كنت تريدين تلك الأواني...»

«يا عزيزتي، ان اول شروط المزاد هو ان تضعي في

ذهنك منذ البداية، الثمن الذي يمكنك دفعه. وإلا فإذا تصاعدت حمى المنافسة فإن اي مبلغ يبدو اثناء ذلك بسيطاً.»

نظرت جايمي في الوقت المناسب لترى الشخص الذي استقر عليه الثمن النهائي، وكان نفس المرأة التي كانت تنظر الى الكنبة.

قالت هولي: «انه مبلغ كبير لأجل اطباق قليلة.»

«أرأيت ما كنت اعنيه؟»

كانت قد توقعت تقريباً، ان يغير سايمون رأيه ويستعيد بعض الأشياء لنفسه، ولكن يبدو ان ذلك لم يحدث. اليس لدى هذا الرجل أي شعور عاطفي؟ يبدو ان الشيء الوحيد الذي كان يريده حقاً هو صور افراد الأسرة.

رأت بيس في آخر الفناء، بعيداً عن مركز المزاد. كانت تبدو اكبر سناً بكثير مما كانت قبل جنازة غريتا. وتملك الألم قلب جايمي. لقد فقدت بيس صديقة عزيزة وبيتها في نفس الوقت وأي مبلغ تقاعدي لا يمكن ان يعوضها عن ذلك. وأخذت جايمي تشق طريقها بين الجمع متجهة نحوها.

امتدت يد تمسك بذراعها، التفتت جايمي واذا بها تواجه اباجورة ضخمة والتي كانت احدى احدث المواد التي بيعت وخلفها كانت تحدق اليها فتاة في الفرقة المسرحية المحلية: «جايمي، انني اطلب منك خدمة هائلة، هل بامكاننا استعارة المنزل لمدة اسبوعين ابتداء من ليلة السبت؟ اننا نريد اقامة حفلة نعرض فيها مسرحية عن جريمة غامضة وذلك للتمويل وستكون الحفلة رائعة.»

«ان الأمر غير عائد الي يمكنك ان تسألي سايمون،

ولكن...» وسكتت لأنها اوشكت على قول ان المنزل قد يصبح تراباً بعد نحو اسبوعين، هذا الى انه دون اثاث...

«آه، يبدو انه سيكون منزلاً مهجوراً، وستكون هذه مغامرة منا، ولكن في حالة لم استطع مقابلة سايمون اليوم، هل لك ان تطلبي منه ذلك؟»

قالت جايمي اخيراً: «نعم، اذا رأيته.»

«وإذا شئت حضور الحفلة، لدي تذكرتان. انهما ستعجبكما كثيراً.»

أخذت جايمي تفكر في ان هذا كل ما كانت بحاجة إليه، وهو ان تعتبرهما المدينة، هي وسايمون، حبيبين. وذلك بعد ان تلاشى منذ زمن طويل كل أمل في ذلك.

لم تستطع ان ترى بيس بعد ذلك، فقد كانت المرأة من ضآلة الجسم بحيث غابت في الزحام. وهكذا عادت جايمي إلى جانب هولي، وأخذت تراقب المزاد.

زايدت على عدة مواد دون نجاح كبير. فالمرأة التي كانت زايدت على الاطباق الصينية انتهت بزوج من الكراسي الجلدية من المكتبة. وحصلت جايمي على طقم الإفطار الخزفي الذي كانت غريتا تستعمله، ولكنها تخلت عن الطقم البلوري عندما ارتفع سعره كثيراً بالنسبة الى ميزانيتها. ثم اخذت تشاهد بقية المزايدة، ودهشت عندما رأت نفس المرأة تحصل على هذا الطقم ايضاً.

قالت هولي: «لا بد انها بائعة.»

هزت جايمي كتفيها: «ربما. ولكنني لا ادري كيف تتوقع الربح بالنسبة الى المبالغ التي تدفعها.»

«ربما أنت على صواب في قولك ان سايمون سيبيع

المنزل، وانها هي التي ستشتريه، وذلك من الطريقة التي تنفق بها النقود، لا اعجب ان كان لديه ثلاثون الف دولار اخرى لأجلنا.»

اوشكت جايمي ان تهز رأسها، ولكنها بدلاً من ذلك، عبست وهي ترى المرأة بعد نجاح سريع تشتري المقعد المستطيل شيزلونغ واريكة غرفة الضيوف. لقد كانت تشتري كثيراً من الاثاث ذي الأهمية. وقد تكون هولي على صواب في ان المرأة من الثراء بحيث يمكنها ان تشتري المنزل.

لكن هولي تابعت تقول: «ولكن عندما افكر في ذلك، لا ارى هذا صحيحاً. فقد اخبرني زوجي انه رأى والدك وسايمون يتناولان الغداء مع مقاول، وذلك منذ ايام.»

فكرت جايمي انه ما زال يناقش عرض الشراء ذاك. وقطبت جبينها. لماذا يشترك والدها في عمل من ذلك النوع؟ طبعاً كان عمل ابيها الاشتراك في تطوير المدينة، ولكنه لم يكن الى هذا الحد من عدم الحساسية بالنسبة الى التاريخ المحلي. فهو ما كان يوافق بسهولة على خسارة احد معالم المدينة مثل منزل تشادويك ثم ما الذي جعله يشترك في معاملات سايمون، على كل حال.

سألتها: «هل كان ذلك الرجل هو نوكس؟ صاحب مؤسسة نوكس للبناء؟»

فهزت هولي رأسها نفياً: «كلا. لا استطيع تذكر الاسم. ولكن جورج اخبرني انه الرجل الذي بنى المنازل في ضاحية المدينة. قال جورج انهم كانوا جميعاً مشغولين في وضع رسوم تخطيطية حتى انهم لم يكادوا يرونه.»

توتر جسم جايمي. لم تفهم كيف يتعامل سايمون مع

مقاول مختلف هكذا فجأة. هل ترى المعاملة مع نوكس قد فشلت؟

ما الذي يجعل سايمون يشغل نفسه بتخطيط الرسوم؟ فقد كان قال بنفسه ان ليس من شأنه ما يفعله المالك التالي بالمنزل... سواء كان بناء شقق مكانه، ام بيوتاً منفصلة ام أي شيء آخر، طالما دفع له الثمن الذي يطلبه...

فإذا بالصورة تتضح في ذهنها. فالرجلان المجهولان اللذان رأتهما معه ينظران الى الأراضي المحيطة بالمنزل، والحديث الذي دار بين والدها وسايمون، قد اصبح له دلالة جديدة... خصوصاً وهي تضيف ذلك الى ما كان والدها قاله في اول ليلة على مائدة العشاء عن حاجة المدينة الى بيوت السكن والثروة التي يمكن جناؤها من وراء ذلك. كان ذلك مجرد تعليق عفوي. كما ظنت حينذاك ولكن سايمون لم ينس ذلك. لأنه عاد الى ذكر ذلك في اليوم الذي احضرت كريستا فيه اول عرض من مؤسسة نوكس.

فقد قال حينذاك: «ربما بإمكاني التعامل بهذا الأمر بشكل افضل منك.» وظنت هي انه يتحدث عن المال فقط. ولكن الآن أصبح لتلك الكلمات معنى آخر.

تنفست جايمي بعمق محاولة أن تفكر بصفاء، لا عجب إذن في رغبة سايمون في نقل الأملاك إلى اسمه، فالقضية لم تكن تتعلق بما هو مناسب أو تجنب التأخير... وإنما كان للضرورة لأنه لم يكن ينوي بيع المنزل أو الأرض الثمينة التي يقوم عليها، وإنما كان يريد أن يهدمه بنفسه ويقيم مكانه بناءً جديداً.

طبعاً، لم يكن هناك سبب يمنعه من ذلك فالأرض والمنزل

أصبحا ملكه الآن. وإذا كان المنزل سيهدم على كل حال، فلماذا لا يستغله سايمون بنفسه ويجني من ورائه الفوائد لنفسه، بدلاً من أن يبيع الأرض فقط؟

فقدت جايمي فجأة كل اهتمام بالمزاد. لم تعد تهتم بالحصول على الأشياء التي كانت تريد ابتياعها منذ دقائق قليلة. حتى أنها نسيت طقم الإفطار الخزفي الموضوع في صندوقه عند قدميها، إلى أن صدمته بقدمها.

قالت لها هولي: «الأفضل أن تحاذري من هذا. فالخزف يتهشم بسهولة، وربما الأفضل أن تلفيه بالورق، لقد تركنا بعض الصحف الزائدة في الشرفة الخلفية، كما أظن.»

أومأت جايمي. إنها لا تشعر بسوى الرغبة في الانفراد بنفسها. قالت لصديقتها: «سأراك فيما بعد، يا هولي.»

«هل هناك شيء تريدينني أن أزايد عليه إذا حان وقته قبل حضورك؟»

هزت جايمي رأسها. حتى انها لم تنظر إلى ما قد يحين وقته قريباً للبيع، لم تعد تهتم بشيء بعد الآن.

كان المنزل مقفلاً، ولكن المفتاح القديم كان معها، أزاحت صندوق الآنية الخزفية بقدمها وهي تفتح الباب.

كان المطبخ هادئاً. مائدة المطبخ قد ذهبت، طبعاً للبيع هذا الصباح. وكل التحف التي كانت نظمتها بكل عناية قد جُمعت وأعيدت إلى محلها.

لكنها تركت الستائر، ورفعت بصرها تتأمل ألوانها المتألقة، وكادت تضحك لماذا تراها أزعجت نفسها بكل هذا؟

سألت نفسها عما يجعلها تشعر بكل هذا الأسى الآن فقط؟

لقد كانت تعلم منذ أسابيع باحتمال هدم المنزل. وأيّ فرق في شخصية الهادم؟

التقطت فنجاناً أمسكته بيديها، كان الإغراء في أن تقذف به على الأرض فيتحطم ويبدد هذا السكون، هذا الاغراء كان أكثر مما تستطيع مقاومته وخوفاً من أن تستسلم لهذا الإغراء، أسرعت لتحضر عدة جرائد.

«هل كل شيء على ما يرام هنا؟» وكان هذا صوت سايمون الذي كان واقفاً عند الباب الخلفي.

فقالت دون أن تنظر إليه: «ممتاز.»

اقترب منها قليلاً: «هل حصلت على الآنية البلورية التي كنت تزايدين عليها؟»

لم تكن رأته في أي مكان في الأنحاء، وذلك منذ ابتداء المزاد، وطبعاً لم تنتبه إلى أنه كان يراقبها. أرسلت هذه الفكرة قشعريرة في ظهرها، إلى أن حدثت نفسها بأنه لو كان منتبهاً إليها لعلم بأنها لم تظفر في ذلك المزاد بالذي كانت تريد.

وهزت رأسها قائلة: «لقد ارتفع الثمن كثيراً.»

«إنني آسف لهذا، لو كنت سلمتني قائمة بما تريدينه، لحرصت على أن يكون لك ما تريدين. فهذا حقك ما دمت لم تأخذي أجراً على عملك.»

فقالت غاضبة: «كل ما فعلته كان لأجل غريتا، وليس لأجل المال... تباً لذلك، يا سايمون.»

مد يديه الاثنتين قائلاً: «لا بأس إنني أعتذر.»

جذبت نفساً عميقاً، ودست يدها في جيب بنطلونها الجينز تخرج منه المفتاح: «هاك مفتاح المنزل، بعد أن ينتهي المزاد، يكون أكثر عملي كوصية قد انتهى، والآن بعد

أن انتهى الزائرون من رؤية البيت، لم يعد بي حاجة إليه.»

فلم يمدّ سايمون يده ليأخذه بل قال: «إن أثاثك ما زال في المنزل.»

شعرت بحماقتها وقالت: «آه، لقد نسيت هذا.»

«لا تهتمي بمسألة المفتاح، ويمكنك كذلك الاحتفاظ به للذكرى.»

«لأن هذا ما ستصبح فائدته، أليس هذا ما تعنيه؟»

شبك ذراعيه فوق صدره وسألها: «ما الذي يغضبك، على كل حال؟»

فهزت رأسها: «ربما لأنني لم اعتقد قط بأنك ستفعلها، يا سايمون.»

«أفعل ماذا؟»

فقالت وهي تحني رأسها قليلاً: «أرجوك، لا تهدمه. هل لك أن تبيعني إياه بدلاً من ذلك؟ إنني أعلم أن ليس بإمكاني أن أعطيك الثمن الذي يستحقه، ولكن بإمكانك أن تكون سخياً بمشاعرك، إن هذا المنزل لا يستحق الهدم أرجوك، ألا تدعني أحاول إنقاذه؟»

لم يجبها سوى الصمت، صمت ثقيل مقلق ثم قال سايمون: «لماذا يا جايمي، هل لأنه عزيز عليك؟»

«وماذا في ذلك؟ إنه ما زال بيتاً رائعاً فهو أكثر من مجرد جدران وأرض، يا سايمون إن فيه سحراً هنا، مصنوعاً من كل الذكريات التي امتصها هذا المنزل خلال السنين... أواه... لماذا أتوقع منك أن تفهمني؟»

لم تنظر إليه، ولكنها استطاعت أن تحس بشكوكه في الجوّ، لا بد أنه رآها فرحة للغاية وقال بجمود: «لا بأس،

إنها فكرة غبية. فهذا المنزل ربما يفلسني. إنس ما قلته لك عنه.»

«ربما كان عرضك شراءه يغريني لو لم أكن قد قررت ما الذي سأفعله به.» كان صوت سايمون منخفضاً رقيقاً.

فأومأت محدثة نفسها بأنها حاولت، على الأقل. واستدارت لتنصرف.

ولكنه أضاف يقول برقة: «إنني سأحتفظ به.»

نظرت إليه غير مصدقة وهي تحدث نفسها بأنها تسمع جلبة غريبة: «حسناً، لقد سمعت أنك كنت تتحدث إلى مقاول بناء... وهو ليس من النوع الذي يصلح السقوف الساقطة، ولكنه من النوع الذي يتعهد الأبنية المتطورة، وهكذا لا تخبرني أنك لن تستغل قلة منازل السكن هنا ومن ثم تبني...»

«من أخبرك بهذا؟»

«جورج ديرموت رآك وأخبر زوجته هولي.»

فتنهد، وقال: «وهكذا ظننت أنني سوف أبني مجمعاً للشقق هنا؟ لقد سبق وأخبرتك أنني لا أعرف شيئاً عن المساكن.» وأضاف محدثاً نفسه تقريباً: «يجب عليّ أن لا أقلل من شأن الأقاويل بعد الآن.»

«إذا كنت تظن أنك تبدو ظريفاً بمثل هذا الكلام، يا سايمون...»

فقال بسرعة: «أنا آسف، ولكنني أؤكد لك أن لا شأن له بالمنزل.»

«هل بالأرض فقط؟»

«حتى ولا الأرض؟ لقد كنت أتحدث مع المقاول لأنني... لأنني اشتريت محل ميلر للآيس كريم.»

فهزت رأسها دون أن تفهم: «وما شأن ذلك بالأمر؟ فتغيير طراز ذلك المحل لا يحتاج إلى مقاول.»

فقال بصبر: «إنه ألذّ آيس كريم ذقته في حياتي، ولكن لا أحد خارج سمرسيت يعرف هذا. وهكذا سأقيم مصنعاً في تلك المنطقة الصناعية التي يحبها والدك، ثم أقوم بتسويقها تجارياً بكميات كبيرة.»

حدقت إليه لحظة طويلة: «هل هذا هو السبب الذي كنت تتحدث فيه إلى المقاول؟ عن بناء المصنع؟»

«هذا هو السبب، أقسم على ذلك.»

«كان يمكنك أن تخبرني.» وذكّرت نفسها بأن هذا غباء منها. ولماذا كان عليه أن يفكر في أنها تهتم بذلك.

«دخلت هذه الفكرة في خاطري منذ مباراة كرة السلة تلك، ولكننا لم نبدأ المعاملة سوى هذا الأسبوع، وهكذا لم أعلن الأمر بالضبط، لقد أخذ مني ذلك الكثير من البحث والتخطيط...»

«كل تلك الرحلات إلى سانت لويس.»

«وإلى كل الأماكن العديدة الأخرى، تحدثت إلى الموزعين، استشرت أصحاب المصاعب... فإذا كان الانتاج ناجحاً كما أتوقع، فسيكون بإمكاننا أن نفتح محلات مرخصة خلال السنوات القليلة القادمة، أيضاً.»

وتذكرت ما كان قاله عن عمله في البيتزا، وكيف ابتدأ ذلك بشراء مطعم واحد ذي انتاج جيد وطاقات كبيرة. وهمست تقول: «أشعر وكأنني حمقاء. كنت أنت تفكر بمئات من محلات الآيس كريم، بينما أنا...»

فابتسم قليلاً: «ليس لديّ فكرة كم سيكون عدد المحلات في النهاية، كل ما أعرفه أنني لن أديرها شخصياً. فأنا

سأقيم هنا في سمرسيت، بصفتي الرجل المثالي.» ونظر حوله. «هنا، في هذا المكان.»

حدقت إليه بعينين متسعتين. لقد قال إنه سيحتفظ بالمنزل، ولكنها لم تدرك أنه كان يعني الإقامة فيه: «أتريد الاحتفاظ به، ولكنك قلت...»

فقاطعها: «في البداية كنت أريد أن أبيعه ومع مرور الوقت أدركت أنني غيّرت رأيي... حسناً، كان ذلك عندما شعرت بأنني لا أريد أن أتخلى عنه... عندما أعلنت أنك سجلته رسمياً للبيع، وذلك بعد فوات أوان منعك من ذلك. لقد قلت حينذاك أنك لن تبيعيه قبل انتهاء عرضه إلى الزائرين، وهكذا رأيت أن أمامي الكثير من الوقت للتفكير في الأمر.»

فقالت له بضيق: «ظننتك بحاجة إلى المال.»

«لم أدرك ذلك، ثم حاولت أن أطلب منك أن تدعي لي كل عروض الشراء.»

«وذلك لكي ترفضها جميعاً؟ أواه، يا سايمون.»

«ولكنك اصريت على الاهتمام بها بنفسك ورغم ما قلته لك عن الرعب الذي ينتج عن بيعه، فقد ازددت أنت عناداً بأنه ينبغي أن يباع...»

«هل هذا هو السبب في قولك المفزع ذاك عن أن ليس بإمكاني أن أتدخل في ما قد يحدث للمنزل بعد البيع؟»

فأومأ قائلاً: «وكانت الطريقة الوحيدة لإنقاذه منك هي أن أشتريه بنفسي... وهذا ما فعلته.»

لإنقاذه منك... من جايمي، والتي كانت تعشق المنزل. عضت شفتها بقوة. إذا كان هذا هو ظنه فيها حقاً، إذن فلم يبق شيء يستحق محاولة إنقاذه.

رفعت رأسها بكبرياء، ثم قالت متصنعة البشاشة: «حسناً، إنك إذن ستقيم هنا وتصنع الآيس كريم، تهانئي.»

«وأظنني سأبني بيوتاً للطيور في القبو، كما أنني أرسلت رسالة لأخذ دروس في عزف الكمان.»

حدثت نفسها بأنها، ذات يوم، كان من الممكن أن تبدأ بالصياح مغتبطة إذا هو قال إنه يريد أن يبني حياة له في سمرسيت، ولكنها الآن، في هذه اللحظة، تفضل أن ترى المنزل مهدوماً على أن تراه يعيش سعيداً مع امرأة أخرى، منشئاً الأسرة المثالية.

وتابع سايمون: «كان علي أن أعيد التفكير في حياتي. فعدم وجودي هنا حين وفاة غريتا آلمني كثيراً. فقد كانت آخر أقربائي، ولكنني قدمت عملي عليها.»

بدا غريباً أنها في غمرة آلامها، شعرت بأنها ما زالت تريد أن تخفف عنه. فقالت: «ما كنت لتستطيع أن تعلم، يا سايمون. لم يعلم أحد إلا متأخراً، بمبلغ ما كانت عليه من مرض.»

«بل كان بإمكاني أن أعلم، كان عليّ أن أحافظ على الاتصال بها دوماً دون جهود هربرت في البحث عني.»

وسكت قليلاً، ثم عاد يقول: «أمضيت سنوات من دون بيت حقيقي، يا جايمي فقد كنت أمضي شهوراً هنا، سنتين هناك. ولكنني عندما أخذت أراقبك وأنت تحولين هذا المنزل إلى بيت عائلي، أدركت كم أنا بحاجة إلى ذلك.»

لقد قال إلى ذلك ولم يقل إليك. هنالك فرق شاسع. وأرغمت جايمي نفسها على الابتسام، ولكن شفتيها ارتجفتا إلى حد اضطرت معه إلى الإشاحة بوجهها وهي تقول: «إنني مسرورة، يا سايمون.»

فهمس يقول: «أحقاً؟ أرجو ذلك.»

لم تستطع النظر إليه، خفضت بصرها إلى حيث صندوق الأطباق الخزفية دون أن تراه، شاعرة بغصة في حلقها.

وتابع يقول: «لأنك إذا أحببت، يوماً ما، أن تشاركيني منزلي... حياتي... كل تلك الذكريات التي تكلمت أنت عنها... وصنع ذكريات جديدة معي...»

استدارت إليه تواجهه، وجعلته الفرحة التي رآها في عينيها يحبس أنفاسه.

هتفت: «آه، يا سايمون.»

نظر إليها طويلاً وكأنها جوهرة غالية، بينما تلاشت الغصة من حلقها نهائياً.

وهمس يقول: «أحبك، يا جايمي.»

فقالت: «وأنا أيضاً أحبك، يا سايمون هل كنت حقاً تظن أنني كنت سأدع المنزل يهدم؟»

فقال برزانة: «إنني أفكر في مرة كنت أنت فيها من الغضب والاحباط بحيث كنت على استعداد للقيام بأيّ شيء... هدمه... بيعه إلى هولي...»

«هل هذا معنى ما قلته بأنك ستنقذه مني؟»

فأومأ ايجاباً.

قالت برقة: «وماذا عن الرجلين اللذين كنت تريهما المنزل الأسبوع الماضي؟»

«إنهما مهندسان مختصان بإصلاح الحدائق. ألم أقل لك مرة أن الحديقة بحاجة إلى إصلاح كلي؟»

لم يكن ثمة فائدة في مناقشة قوله ذاك بالضبط، وهكذا اكتفت بالابتسام.

سألها: «أتظنين أن من الأفضل أن نخرج إلى الناس قبل أن يبلغ أحد الشرطة بأننا مفقودان؟»

كانت جايمي الآن قد نسيت كل شيء عن المزاد. وشعرت بالندم لبيع بعض الأشياء... أشياء كانت تحبها أن تبقى جزءاً من المنزل. فغرفة الضيوف الفريدة في نوعها ليس من الممكن أن تعود كما كانت.

والأهم من كل شيء هو أنهما كانا عملا فيها معاً...

سألته: «لا أدري إذا كانوا لم يبيعوا بعد مائدة المطبخ.»

أجاب: «أظن ذلك، ذلك أنني عندما دخلت كانوا قد أصبحوا قريبين منها.»

«آه، يا ليتنا تصارحنا بكل هذا قبل المزاد.»

فرفع حاجبيه: «ثم تحتفظين به كله؟ علينا أن نؤثث غرفة لنا، والشكل الذي كانت غريتا اثثت فيه المنزل...»

«معك حق، بالطبع ربما من الأفضل أن نشرع في بداية جديدة تماماً، على الأقل ما زالت لديك صور الأسرة.»

«ولديك طقم الأثاث الوردي في غرفة الجلوس ومشجب العلاقات المصنوع من خشب الجوز، والكرسي الهزاز... ولا تنسي غرفة النوم. إنه كان ذكاءً خارقاً منك أن لم تجدي مكاناً تخزنين فيه غرفة نومك. فهذا وفر علينا الكثير من التعب في إعادتها، وبالمناسبة إن مساعدتي في إدارة اعمالي هي هنا حالياً تقوم الآن بشراء كل شيء استطعنا أنا وهربرت، أن نتصور أنك تريدينه.»

«أي مساعدة في إدارة الأعمال؟ هل هي المرأة التي كانت تجيبني كلما اتصلت بك هاتفياً؟»

«إنها هي نفسها.»

«هل هي في سمرسيت؟ لماذا؟»

«لأنه كان مزعجاً أن استدعيها من أتلانتا في كل مرة أريدها أن تقوم لأجلي بشيء. وما دمنا نتحدث عن الازعاج... هل لي أن أذكرك بأنني طلبت منك أن تعطيني قائمة بما تريدينه؟»

لكن جايمي لم تكن تستمع، فالمرأة التي كانت اشترت طقم البلور، والكنبة، وأريكة غرفة الضيوف... وكراسي المكتبة...

لقد أدركت أن كل ذلك لأجلها هي... وعضت شفتيها تمنع نفسها من البكاء.

«كما أنها أيضاً تبتاع كل ما شرعت أنت بالمزايدة عليه، إذا أنت تركته قبل أن يباع، وأشياء من نفسها بعد أن لاحظت ميولك لها أثناء طوافها معك، طلبت منها أي شيء بدا عليك أنك تعتبرينه ذا أهمية... وذلك في حالة احتجته أنت يوماً ما.»

«سايمون، أما كان الأمر أسهل لو أنك منعت أخذ هذه الأشياء إلى البيع؟»

«وأفسر لك السبب الذي يجعلني أريد هذه الأشياء التي لم أظهر من قبل رغبة فيها؟»

«أظنني فهمت ما تعنيه، ولكن...»

«لم أكن مستعداً لهذا العمل، لم أكن مستعداً للمجازفة بالاعتراف لك بحبي.»

فهزت رأسها غير مصدقة.

أخذ يذكّرها قائلاً: «كنت دوماً تقولين أشياء مثل أنك كنت متلهفة للخلاص من الممتلكات. وكيف أن كل اهتمامك هو في انتهاء مشروع المعرض، لم أدرك حتى هذا النهار،

عندما أخذت تتحدثين عن الذكريات وفي الطريقة التي تحدثت بها، أدركت أن بعض هذه الذكريات تشملني، وأنك إذا كنت أخذت بالتفكير في ذلك، ربما بإمكانك أن تدركي أن ما بيننا هو شيء خاص جداً ولكن حتى ذلك الحين... حسناً، لولا أن غريتا قد جعلتك تشعرين بشيء من الاهتمام بي، لما استطعت أن أعلن أنني لا أريد المنزل فقط والأثاث، بل أريدك أنت أيضاً... معرضاً نفسي لأن تنفجري ضاحكة ساخرة مني.»

فقطبت جبينها قائلة: «لم أفهم.»

«آه، أرجوك. لا يحتاج الأمر إلى عالم ليدرك ما كان في ذهن غريتا، فلا شيء يماثل مهارة سيدة أمضت حياتها دون زواج، بالنسبة إلى التخطيط الشاعري والزوجين المثاليين هو نوع من هذا، أي الحيلة التي قامت بها غريتا، ولكن ألم يخطر ببالك قط أنها كانت تتحدث عنا؟ وأنها عرفتنا ببعضنا البعض لغرض في نفسها؟»

احمر وجه جايمي قليلاً: «كلا، لقد علمت فقط أنه كلما جاء ذكر هذا الموضوع، وجدت نفسي أفكر فيك.»

فبدا عليه السرور: «آه، هل تحبين أن تحاولي أن تكوني المرأة المثالية؟»

قالت: «ولكنني لم أصبح مثالية بعد، فقد كنت غالباً ما أقفز إلى النتائج الخاطئة.»

«هذا صحيح، ولكن عليّ أنا أيضاً أن أعترف بأن من غير المحتمل أن أنجح في دوري كل الوقت، أنا أيضاً وعندما يأتي الأطفال المثاليون...»

تضرج وجه جايمي بينما تابع هو يقول: «أظن أن علينا

عند ذاك، أن نلقي بعيداً بالنص المكتوب. إن غريتا لم تكن على صواب في هذا، فأطفالنا لن يكونوا عاديين بما يكفي ليكونوا مثاليين.»

سكتت جايمي فترة قالت بعدها تذكره: «إنك كنت قلت لهولي انكِ خائف جداً مني.»

فأومأ يقول: «آه، نعم لقد علمت منذ اليوم الأول أن بإمكانك أن تشكلي خطراً على سلامة عقلي إذا لم أكن حذراً. فعندما أوقفت قراءة الوصية لكي تدافعي عن حقوق بيس، خطر ببالي بأن تكوني مزعجة تماماً.»

قالت بجفاء: «شكراً كثيراً يا سايمون.»

«أهلاً وسهلاً، لقد كنت عدت بسبب الخوف الهائل، كما ترين، فأنا لم أستطع التوقف عن التفكير بك، فكنت خائفاً أن لا أتمكن من ذلك أبداً، لقد ظننت في البداية أنني إذا عرفتك تماماً فقد يخف افتتاني بك.»

فسألته: «ثم؟»

«لكن هذا لم يحصل، وإنما أخذ في الازدياد، ماذا علينا أن نفعل بالنسبة إلى بيس، بالمناسبة؟ لقد فكرت في أن أطلب منها العودة بصفة مدبرة منزل إنما مجرد مشرفة على العمل.»

فأومأت تقول: «إن هذا المنزل سيحتاج إلى كثير من الخدمة والصيانة... آه، لقد نسيت كان المفروض أن أسألك شيئاً، إن فرقة المسرح تريد أن تستعير المنزل لإقامة حفلة مسرحية وذلك بعد أسبوعين.»

فقال بكل ارتياح: «ربما السنة القادمة، وليس الآن. إن أمامنا حفلة زفاف.»

«بما أنك ذكرت ذلك، كان لدي ذات يوم أفكار عن ذلك...»

سكتت لحظة طويلة سألته بعدها: «أتظن حقاً أن غريتا كانت تعتقد أن كل ما عليها أن تفعل هو جعلنا معاً في نفس المدار، تتأمل ان يحدث بيننا قصة حب تتكفل بالباقي؟ هذا كلام فارغ.»

فقال باسماً: «هو كذلك طبعاً، حتى انني أسمّي ذلك نزوة غريبة.»

«وسخيفة تماماً.»

عاد يبتسم وهو ينظر في عينيها: «ولكن هذا قد تحقق فعلاً... يا جايمي... حتى آخر العمر أيضاً.»

تمت

www.elromancia.com